

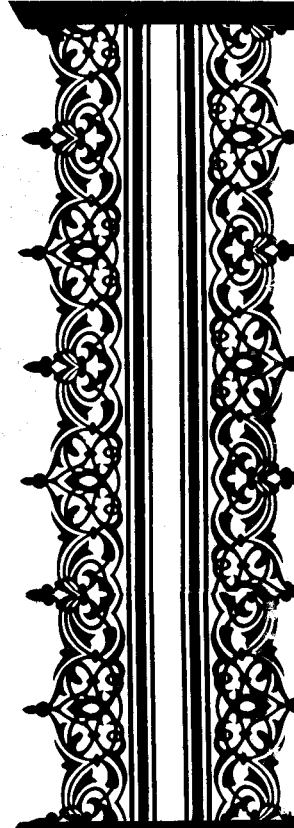
دَجْوَةُ الْحَقِّ
سلسلة شهرية
تصدر مع مطلع كل شهر عربي

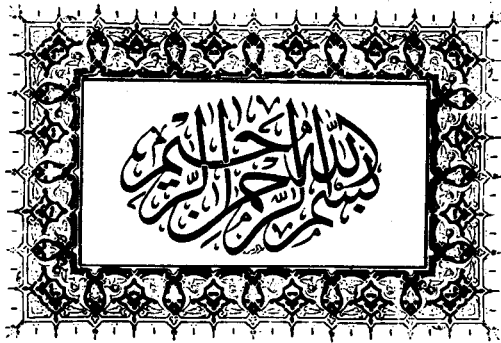
السنة الثانية ١٤٠٢ هـ جمادى الآخرة (١٥)

تاريخ القرن الكريم

تأليف

الدكتور محمد رسام محمدي





المقدمة

الحمد لله الذي نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .
والصلاة والسلام على نبينا (محمد) الذي أیده الله تعالى بالقرآن ، وتحدى
به جميع الإنس والجان ، فقال عز من قائل :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (١) .

« وبعد »

فإن المصنفين لتاريخ القرآن - جزاهم الله خيراً - قد أسهموا بقدر
في الكتابة عن هذا التراث الجليل وفقاً لأهداف معينة لدى كل واحد منهم .
وقد رأيت أن أسهم بقدر ما أستطيع في تجلية بعض جوانب هذه القضايا ،
استكمالاً لما قدمه السابقون .

فالمصنفات ما هي إلا حلقات متصلة يكمل بعضها بعضاً .

فقدت بإعداد هذا الكتاب وسأجعله إن شاء الله تعالى في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عن تنزيل القرآن .

الفصل الثاني : عن تقسيمات القرآن .

الفصل الثالث : عن كتابة القرآن .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لذاته ، وأن ينفع
به المسلمين ، وبخاصة المشتغلين بالدراسات القرآنية .

كما أسأله عز وجل أن يغفر لي الزلات ، ويعفو عن الهفوات ، فكل
نبي آدم خطاء ولا عصمة إلا للأنبياء ، انه سميع الدعاء .

وصل اللهم على نبينا « محمد » وعلى آله وصحبه وسلم آمين .

المدينة المنورة ربيع الآخر سنة ١٤٠١ هـ

د. محمد سالم محيسن

تاريخ القرآن الكريم

وفيه ثلاثة فصول

وقبل الدخول في الحديث عن فصول هذا الباب نريد أن نقف على أمرين

مهمين وهما :

الأول : تعريف القرآن .

الثاني : أسماء القرآن .

أولاً : تعريف القرآن الكريم

القرآن في اللغة :

مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى :

« إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » (١) أي قراءته (٢) .

وفي الاصطلاح :

هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا « محمد » صلى الله عليه وسلم ، المكتوب

في المصاحف ، المنقول إلينا نقلاً متواتراً ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر

سورة منه (٣) .

١ - سورة القيامة ١٨-١٩

٢ - انظر المعجم الوسيط ج ٢ : ٧٢٢ ط القاهرة

٣ - ارشاد الفحول ص ٢٩ ط القاهرة

فخرج بقولنا : المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، عن سائر الكتب السماوية .

ويقولنا : المكتوب في المصاحف ، عن الأحاديث القدسية ، والنبوية .
ويقولنا : المنقول إلينا نقلاً متواتراً الخ : عن القراءات الشاذة .

ثانياً : أسماء القرآن الكريم

لقد اختص الله تعالى « القرآن الكريم » دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على شرفه وعلو منزلته .

ولقد أظن بعض العلماء في ذكر أسماء القرآن ، وذلك يجعل الأوصاف الواردة في القرآن أسماء له .

حتى أن بعضهم أوصلها إلى نيف وتسعين اسماً (١) ولكني لن أذكر إلا الأسماء التي يدل عليها لفظ القرآن دلالة صريحة وهي :

١ - القرآن : قال الله تعالى :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » (٢) .

٢ - الفرقان : قال تعالى :

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » (٣) .

١ - انظر : البرهان للزركشي ٢٧٢/١ .

ولطائف الارشادات للقسطلاني ١٨-١٩ .

ومع القرآن الكريم للدكتور شعبان محمد اسماعيل ص ١٧ .

٢ - سورة البقرة / ١٨٥ .

٣ - سورة الفرقان / ١ .

- ٣ - الكتاب : قال تعالى :
- « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (١) .
- ٤ - الذكر : قال تعالى :
- « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٢) .
- ٥ - الوحي : قال تعالى :
- « قل إنما أنذركم بالوحي » (٣) .
- ٦ - الروح : قال تعالى :
- « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » (٤) .

-
- ١ - سورة البقرة / ٢ .
- ٢ - سورة الحجر / ٩ .
- ٣ - سورة الانبياء / ٤٥ .
- ٤ - سورة الشورى / ٥٢ .

الفصل الأول

تنزيل القرآن الكريم

سأتحدث في هذا الفصل عن القضايا الآتية :

- (أ) تنزيل القرآن .
- (ب) الحكمة من نزول القرآن منجماً .
- (ج) بيان أول ما نزل منه .
- (د) بيان آخر ما نزل منه .
- (هـ) فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن .
- وإليك تفصيل الكلام عن هذه القضايا .

القضية الأولى :

تنزيل القرآن الكريم : من يعن النظر في الآيات القرآنية يمكنه أن يستنبط من ذلك أن تنزيل القرآن مر بمرحلتين :

• الأولى : نزوله دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا .

قال الله تعالى :

« بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ » (١) .

هاتان الآيتان تفيدان أن القرآن كان موجوداً في اللوح المحفوظ ، وفقاً
لكيفية مخصوصة لا يعلمها إلا الله تعالى .

وليس لنا أن نسأل عن تلك الكيفية ، ولا عن مبدأ وجودها .
فما علينا إلا أن نؤمن بذلك ونصدق ، وهذا من جملة الإيمان بالغيب
الذي لا يؤمن به إلا المتقون .

قال « ابن عباس » ت ٦٨ هـ رضي الله عنهما :

خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، ثم قال الله تعالى للقلم قبل
أن يخلق الخلق :

اكتب علي في خلقي ، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة ا هـ (١) .
وكان هذا التنزيل في شهر رمضان - ليلة القدر ، الموصوفة بأنها ليلة
مباركة .

قال الله تعالى :

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان » (٢) .

وقال تعالى :

« إنا أنزلناه في ليلة القدر » (٣) .

١ - انظر تفسير الشوكاني ٤١٧-٥ ط القاهرة .

٢ - سورة البقرة - ١٨٥ .

٣ - سورة القدر - ١ .

وقال :

« إنا أنزلناه في ليلة مباركة » (١) .

فهذه الآيات الثلاث مجتمعة تفيد أن القرآن أنزل دفعة واحدة في شهر رمضان ، في ليلة القدر ، الموصوفة بأنها ليلة مباركة .

وهذا القول هو أصح الأقوال وأشهرها (٢) .

فقد أخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما عن « سعيد بن جبير » ت ٥٩ هـ .
عن « ابن عباس » قال :

« أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض » (٣) .

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً ، والنسائي عن « عكرمة » عن « ابن عباس » قال : « أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ، ثم قرأ : :

« ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » (٤) « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » (٥) .

وأخرج الحاكم ، وابن أبي شيبة عن « سعيد بن جبير » عن « ابن عباس »

-
- ١ - سورة الدخان - ٢ .
 - ٢ - انظر : الاتقان ١-١١٦ .
 - ٣ - انظر : الاتقان ١-١١٦ .
 - ٤ - سورة القيامة ١٨-١٩ .
 - ٥ - سورة الاسراء - ١٠٦ .

قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم » (١) .

وأخرج الطبراني عن « ابن عباس » قال :
« أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة ، ثم أنزل نجوماً » (٢) .

وأخرج الطبراني عن « ابن عباس » أيضاً أنه قال :
« أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ، ونزله جبريل على « محمد » صلى الله عليه وسلم بجواب كلام العباد وأعمالهم (٣) فهذه الأحاديث كلها صحيحة كما ذكر السيوطي ت ٩١١ هـ وهي موقوفة على « ابن عباس » غير أن لها حكم الأحاديث المرفوعة ، ويصح الاحتجاج بها .

وقيل : إن معنى قوله تعالى :

« إنا أنزلناه في ليلة القدر » الآية .

أنه ابتدئ إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ، الموصوفة بأنها ليلة مباركة ، وذلك في شهر رمضان ، ثم نزل بعد ذلك منجماً ، وبه قال « الشعبي » (٤) .

قال « ابن حجر » في شرح البخاري :

« والأول هو الصحيح المعتمد » (٥) .

١ - انظر : الاتقان ١-١١٧ .

٢ - انظر المصدر السابق .

٣ - انظر الاتقان ١-١١٨ .

٤ - المصدر السابق .

٥ - انظر المصدر السابق .

• المرحلة الثانية :

نزوله منجماً على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة خلال مدة بعثته صلى الله عليه وسلم ، موزعاً على الحوادث . والدليل على ذلك قوله تعالى :

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » (١) .
وقوله تعالى :

« وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » (٢) .
فهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن القرآن لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة ، وإنما نزل منجماً حسب الوقائع والأحداث .
القضية الثانية :

الحكمة من نزول القرآن منجماً :

بعد أن بينت أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقاً خلال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام . أخالي أجد سؤالاً يفرض نفسه وهو :

فإن قيل : ما هي الحكمة من نزول القرآن منجماً ؟ أقول :

هذا السؤال قد تولى الله سبحانه وتعالى الجواب عنه وأشار إليه بقوله :

-
- ١ - سورة الفرقان - ٣٢ .
 - ٢ - سورة الاسراء - ١٠٦ .

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به
فؤادك » (١) .

وبقوله :

« وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » (٢) .
فهاتان الآيتان ترشدان إلى الحكمة من نزول القرآن مفرقاً .
وإليك بعض الحكم والأسرار من ذلك :

الحكمة الأولى :

تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقوية قلبه ، كما أشار إليه
قوله تعالى :

« لثبت به فؤادك » .

وذلك من وجوه خمسة :

الوجه الأول :

إن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الله تعالى إلى
رسوله عليه الصلاة والسلام ، سروراً يملأ قلب الرسول ، وغبطة تشرح صدره .
وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية ، وتعهد
مولاه إياها في كل نوبة من نوبات هذا النزول .

١ - سورة الفرقان - ٢٢ .

٢ - سورة الاسراء - ١٠٦ .

الوجه الثاني :

إن في التنجيم تيسيراً من الله تعالى في حفظ القرآن وفهمه ، ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن للنبي صلى الله عليه وسلم .
كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله .

الوجه الثالث :

إن في كل مرة من مرات هذا النزول المنجم معجزة جديدة له صلى الله عليه وسلم .

حيث كان عليه الصلاة والسلام يتحدى المعاندين والمعارضين كل مرة أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، فظهر عجزهم عن المعارضة ، وثبت صدقه عليه الصلاة والسلام ، وهذا بلا ريب فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الرابع :

إن في تأييد النبي عليه الصلاة والسلام ، ودحض باطل أعدائه ، المرة بعد الأخرى ، تكراراً لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الخامس :

تعهد الله نبيه عند اشتداد الخصومة بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد ، ولا ريب أن تلك الشدائد كانت تحدث في أوقات متعددة .
فلا جرم كانت التسلية تحدث هي الأخرى في مرات متكافئة .
فكلما أحرجه خصمه ، سلاه ربه .

وتجيء تلك التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين السابقين
كما قال تعالى :

« وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » (١) .

وتارة تكون التسلية عن طرية وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ ،
كما في قوله تعالى :

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (٢) .

وقوله :

« والله يعضمك من الناس » (٣) .

وتارة تكون التسلية عن طريق إنذار أعدائه كما في قوله تعالى :

وقوله : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » (٤) .

« فإن أعرضوا فقل أنلرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » (٥) .

وتارة ترد التسلية في صورة الأمر بالصبر ، كما في قوله تعالى :

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » (٦) .

وتارة تكون في صورة النهي عن التفجيع والحزن على عدم إيمانهم ،
كما في قوله تعالى :

-
- ١ - سورة هود - ١٢٠ .
 - ٢ - سورة الطور - ٤٨ .
 - ٣ - سورة المائدة - ٦٧ .
 - ٤ - سورة القمر - ٤٥ .
 - ٥ - سورة فصلت - ١٢ .
 - ٦ - سورة الأحقاف - ٣٥ .

« فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » (١) .

وقوله :

« واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما

يمكرون » (٢) .

ومعها : أن يؤيسه صلى الله عليه وسلم من إيمانهم ليستريح ويتسلى عنهم .

كما في قوله تعالى :

« وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغني فقاً في الأرض

أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن

من الجاهلين » (٣) .

الحكمة الثانية :

التدرج في تربية الأمة الإسلامية التي لا زالت ناشئة ، ويندرج تحت

ذلك الأمور السبعة التالية :

١ - سورة فاطر - ٨ .

٢ - سورة النحل - ١٢٧ .

٣ - سورة الانعام ٣٥ ، وانظر في هذا المراجع الآتية :

- المرشد الوجيز - ٢٧ ، ٢ - الاتقان ١-١٢١

- مناهل العرفان ١-٢٩ ، ٤ - من علوم القرآن - ٢٢-٢٤

- مع القرآن الكريم - ٦٦-٦٩

الأمر الأول :

تيسير حفظ القرآن لأن ظروفهم كانت لا تمكنهم من ذلك لو نزل عليهم جملة واحدة .

الأمر الثاني :

التدرج بالأمة في فهم القرآن ، ونزوله منجماً يسهل عليهم ذلك حيث يتمكنوا من استيعابه .

الأمر الثالث :

التدرج بهم في تكليفهم بالواجبات من الصلاة - والصيام - والجهاد - وغير ذلك من سائر أنواع العبادات والمعاملات .

الأمر الرابع :

التدرج بهم في تطهيرهم من العقائد الباطلة مثل الشرك بالله تعالى - وجحود البعث - وإنكار أن يكون لله رسول من البشر .

الأمر الخامس :

التدرج بهم في تطهيرهم من العادات القبيحة التي توارثوها ، ودرجوا عليها وتأصلت في نفوسهم ، حيث كان من المتعذر عليهم تركها مرة واحدة . وذلك مثل : شرب الخمر - وأكل الربا ، ونحو ذلك .

الأمر السادس :

التدرج بهم في تكميلهم بالعادات الحميدة ، والفضائل الكريمة .

مثل : الصفح - والحلم والإيثار - ورعاية الجوار ، إلى غير ذلك (١) .
ولهذا نجد القرآن قد بدأ بفظامهم عن الشرك والإباحة ، وإحياء قلوبهم
بعقائد التوحيد والجزاء ، من جراء ما فتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد ،
وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء .

ثم نجد القرآن قد انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات ، فبدأهم
بفريضة الصلاة قبل الهجرة النبوية .

ثم نبى بالزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة .

وختم بالحج في السنة السادسة منها .

وكذلك كان شأنه في سائر العبادات :

- نجده قد زجرهم عن الكبائر ، وشدد عليهم النكير فيها .

- ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق .

- ثم تدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلاً فيهم ، مثل شرب الخمر
تدرجاً حتى الغاية ، وأنقذهم من شرها في النهاية .

وكان القرآن في انتهاج هذا التدرج أهدي سبيلاً وأنجح تشريعاً .

الأمر السابع :

تثبيت قلوب المؤمنين وتسلحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما وعد

الله به عباده الصالحين من النصر والتأييد والتمكين .

١ - انظر المرشد الوجيز ص ٢٩ .

ومن علوم القرآن ص ٢٢

ومع القرآن ص ٦٩ .

وتاريخ المصحف ص ٣٥-٤٠ .

كما في قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قباهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (١) .

الحكمة الثالثة :

مسايرة الحوادث والطوارئ في تجديدها وتفرقةا ، فكلما جد جديد نزل من القرآن ما يناسبه ، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقهم .

وتتنظم هذه الحكمة أموراً خمسة وهي :

• أولاً : لإجابة السائلين عن أسئلتهم عند ما يوجهونها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم :

سواء أكانت تلك الأسئلة لغرض التثبيت من رسالته ، كما قال الله تعالى في جواب سؤاله أعدائه إياه :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (٢) .

وقوله :

« ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً » (٣) .

-
- ١ - سورة النور ٥٥
٢ - سورة الاسراء - ٨٥
٢ - سورة الكهف - ٨٢

إلى آخر الآيات في هذا الموضوع من سورة الكهف .
أم كانت الأسئلة لغرض التنوير ومعرفة حكم جديد من أحكام الإسلام .
كما في قوله تعالى :

« ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » (١) .

وقوله :

« ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم » (٢) .

ومما لا شك فيه أن تلك الأسئلة كانت توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أوقات مختلفة فهذا سبب واضح من أسباب تفريق النزول .

• ثانيهما : مجازاة الأفضية والوقائع في حينها بيان حكم الله تعالى فيها عند حدوثها ووقوعها .

ومعلوم أن تلك الأفضية والوقائع لم تقع جملة واحدة ، بل وقعت في أوقات متغايرة ومتعددة .

فلا مناص إذن من فضل الله تعالى فيها بنزول القرآن الكريم .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة فمنها :

١ - حادثة مرثد الغنوي الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها قوماً مسلمين مستضعفين ، فلما وصل إليهم عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكانت ذات مال وجمال فأعرض عنها خوفاً من الله تعالى .

١ - سورة البقرة - ٢١٩ .

٢ - سورة البقرة - ٢٢٠ .

ثم أقبلت عليه تريد زواجه منها فقبل ، ووقف زواجه منها على إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب إجازة ذلك النكاح ، فنزل قوله تعالى :

« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » (١) .

٢ - حادثة « الوليد بن عقبة » أخي « عثمان بن عفان » لأمه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى « بني المصطلق » ليأخذ صدقاتهم وكان بينه وبينهم احن وعداوات ، فلما سمعوا به استقبلوه ، فحسب أنهم مقاتلوه فرجع إلى المدينة وقال للرسول صلى الله عليه وسلم .

لأنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فهم الرسول بقتالهم ، فنزل قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٢) .

٣ - ومنها : حادثة « خولة بنت ثعلب » التي ظاهر منها زوجها « أوس بن الصامت » .

ثم ندم على ما فعل وقال : « ما أظنك إلا قد حرمت على » فشق ذلك عليها فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه وقالت :

« يا رسول الله إن لي منه صبية صغاراً ، إن ضممتهم إلى جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا » .

١ - سورة البقرة ٢٢١ .

٢ - سورة الحجرات ٦ .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أراك إلا قد حرمت عليه » .

فاستقبلت السماء تشكو إلى الله تعالى .

فتزل قسوله :

« قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير » (١) الآيات .

٤ - حادثة الإفك : وفيها اتهام المثل الأعلى للطهر والتزاهة « أم المؤمنين » عائشة الصديقة « وفيها نزلت الآيات من قوله تعالى :

« إن الذين جامعوا بالإفك عصبة منكم » إلى قوله : « أولئك مبرعون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » (٢) .

٥ - ومنها : حادثة « عويمر المجلاني وامرأته » .

وحادثة « هلال بن أمية وامرأته » .

اللتان كانتا سبباً في نزول آيات اللعان ، وهي قوله تعالى :

« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين » (٣) إلى آخر الآيات .

١ - سورة المجادلة ١ .

٢ - سورة النور ١١-٢٦ .

٣ - سورة النور ٦-١٠ .

٦ - ومنها : حادثة فتنة اليهود التي أثاروها عندما حولت القبلة من جهة بيت المقدس ، إلى جهة المسجد الحرام .

وكان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بسبعة عشر شهراً تقريباً ، فنزلت الآيات من قوله تعالى :

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » (١) .
إلى قوله تعالى : « ولعلكم تهتدون » (٢) .

• ثالثها : الشبه التي كانت تختلج في صدور المشركين ، ومن أمثلتها والرد عليها : ما حكاه الله عنهم في قوله تعالى :

« وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » (٣) إلى قوله : « فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً » (٤) .

• رابعها : لفت أنظار المسلمين إلى أغلاطهم ، وردهم إلى الصواب .
وذلك نحو الآيات المتعلقة بغزوة « أحد » في قوله تعالى :
« ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » (٥) .
إلى آخر الآيات (٦) .

ونحو الآيات المتعلقة بغزوة حنين في قوله تعالى :

-
- ١ - سورة البقرة ١٤٢ .
 - ٢ - سورة البقرة ١٤٥ .
 - ٣ - سورة الفرقان ٤-٥ .
 - ٤ - سورة الفرقان ٩ .
 - ٥ - سورة آل عمران ١٥٢ .
 - ٦ - سورة آل عمران ١٦٠ .

« ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » (١) .
إلى قوله تعالى :

« والله غفور رحيم » (٢) .

وهذه الآيات تنمي على المسلمين ثقتهم بأنفسهم ، واعتزازهم بقوتهم ،
وتذكرهم بنعم الله عليهم ، بإنزال الطمأنينة ، والأمن في قلوبهم ، وإنزال
الملائكة لنصرتهم ثم تيب بهم أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويرجعوا لربهم .
ومن ذلك :

موقف المسلمين إزاء أسرى « بدر » وقبولهم الفداء وإطلاق سراحهم .
ثم عتاب الله لهم على هذا التصرف ، وإرشادهم إلى المحجة ، وذلك
في قوله تعالى :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » (٣)

إلى قوله : « إن الله غفور رحيم » (٤) .

وهذه الآيات تؤنبهم على إثارة الدنيا على الآخرة ، وترشدهم إلى ما كان
يجب أن يعمل .

خامسها : كشف حال المنافقين ، وهتك أسرارهم للنبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمين .

-
- ١ - سورة التوبة ٢٥ .
 - ٢ - سورة التوبة ٢٦ .
 - ٣ - سورة الأنفال ٦٧ .
 - ٤ - سورة الأنفال ٦٩ .

وسورة التوبة مفعمة بالآيات الشديدة اللهجة في التشيع على المنافقين ،
والتشهير بهم ، وسرد مثالبهم ، وتعداد قبائحهم .

وفي القرآن الكريم - غير ما في سورة التوبة - كثير من الآيات التي
فضح الله فيها سرائر المنافقين ، وأطلع المسلمين على دسائسهم ، وإفسادهم ،
ليكونوا دائماً على حذر منهم فيأمنوا شرهم ، لأنهم أخطر على الإسلام من
الكفار المجاهرين .

اقرأ إن شئت قول الله تعالى :

« الذين يربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم » (١)
إلى آخر الآيات (٢) .

واقرا أيضاً سورة « المنافقين » .

واقرا قوله تعالى :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » (٣)
إلى قوله : « إن الله على كل شيء قدير » (٤)

تجد ثلاث عشرة آية فضحت المنافقين .

وهذه الحكمة الثالثة بمضامينها الخمسة قد أشارت إليها هذه الآية الكريمة :

« ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » (٥) .

-
- | | |
|---------------------|---------------------|
| ١ - سورة النساء ١٤١ | ٢ - سورة النساء ١٤٣ |
| ٣ - سورة البقرة ٨ | ٤ - سورة البقرة ٣٠ |
| ٥ - سورة الفرقان ٣٢ | |

انظر : في هذا : تاريخ المصحف ص ٣٠-٣٣ ، ومع القرآن الكريم ص
٧٤-٧٧ . وغيرهما من المصنفات التي تحدثت عن علوم القرآن مثل : من
علوم القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضى ، ومع القرآن الكريم للدكتور شعبان
محمد اسماعيل ، وتاريخ القرآن للزنجاني ومناهل العرفان للزرقانى .

القضية الثالثة :

بيان أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق :

إن الكلام على هذه القضية لا مجال للعقل فيه لأنه مبني على التوقيف ، اللهم إلا بالترجيح بين الأدلة ، أو الجمع بينها فيما ظاهره التعارض منها .

وبالرجوع إلى المصادر (١) .

وجدت العديد من الآراء في بيان ما نزل من القرآن على الإطلاق ونظراً لأن معظم هذه الآراء تعتبر مردودة وغير مقبولة لضعفها حيث ينقصها التأييد بالأدلة الصحيحة فإنني لن أتعرض لتلك الآراء الضعيفة حيث لا فائدة منها سوى الاطناب غير المقيّد .

وسأكتفي بذكر ما صحح من تلك الأقوال وهما قولان :

القول الأول :

إن أول ما نزل من القرآن مطلقاً : صدر سورة « العلق » وهو قوله تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » (٢) .
وهذا القول يعتبر أصح الأقوال بإجماع جميع الكتاب .

وذلك لأنه مؤيد بالعديد من الأحاديث ، أذكر منها ما يلي :

-
- ١ - مثل البرهان للزركشي ت ٧٩٤ هـ . والاعتقان للسيوطي ٩١١ هـ .
 - ٢ - سورة العلق ١-٥ .

١ - روى البخاري ومسلم (١) :

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ت ٥٨ هـ أنها قالت :
« أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب
إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث (٢) فيه الليالي ذوات العدد
قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ،
حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ : قلت : ما أنا
بقاريء ، فأخذني فغطني (٣) حتى بلغ مني الجهد (٤) .

ثم أرسلني ، فقال :

اقرأ ، قلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد
ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم
أرسلني فقال :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم .
الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

فرجع بها إلى خديجة يرجف فؤاده . . الحديث .

١ - واللفظ للبخاري .

٢ - التحنث : المراد به التعبد .

٣ - فغطني : بفتح الغين وتشديد الطاء المفتوحة ، أى ضمنى ضما
شديدا حتى كان لى غطيظ وهو صوت من حبست أنفاسه بما
يشبه الخنق .

٤ - الجهد : بفتح الجيم : أى المشقة .

٢ - وصحح الحاكم في مستدركه ، والبيهقي في دلائله عن (عائشة)
أيضاً رضي الله عنها قالت :

أول سورة نزلت من القرآن :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق » (١) .

٣ - وصحح الطبراني في الكبير بسنده عن « أبي رجاء العطاردي »

ت ٨١٠٥ .

قال : « كان أبو موسى الأشعري » ت ٨٤٤ (٢) يقرئنا فيجلسنا حلقة
وعليه ثوبان أبيضان فإذا تلا هذه السورة : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .

قال : هذه أول سورة نزلت على « محمد » صلى الله عليه وسلم (٣) .

القول الثاني :

ان أول ما نزل من القرآن اطلاقاً : صدر سورة « المدثر » .

-
- ١ - ومراد عائشة بالسورة صدرها لان باقيها نزل فيما بعد .
 - ٢ - هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني ، من بخيرة الصحابة ومن شجعانهم الفاتحين ، أحد الحكمين اللذين بين «على» و «معاوية» بعدا حرب صفين ، وكان من اطيب الصحابة صوتا بالقرآن . ت ٤٤ هـ على خلاف :
أنظر : الطبقات الكبرى ٤-١٥٠
 - وصفوة الصفوة ١-٢٢٥ - والاصابة ٢-٣٥٩ .
 - ٣ - وأبو موسى يعني صدر السورة
أنظر : الاتقان ١-٦٨ .
ومن علوم القرآن ص ١٩ .
ومع القرآن الكريم ص ٨٢ .

ودليل هذا القول ، ما رواه البخاري - ومسلم ، « عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ت ١٠٤هـ (١) أنه قال :

سألت « جابر بن عبد الله » ت ٧٨هـ أي القرآن أنزل قبل ؟

فقال : « يا أيها المدثر » فقلت أو : « اقرأ باسم ربك » ؟

وفي رواية : « نبئت أنه :

« اقرأ باسم الذي خلق » .

فقال : أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني جاورت بحراء ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي «

زاد في رواية « فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، ثم نظرت إلى السماء فإذا جبريل جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأخذني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني ، فأنزل الله تعالى :

« يا أيها المدثر قم فأأنر » إلى : « والرجز فاهجر » (٢) .

ومن يمعن النظر في هذا الحديث يجده يتعارض مع حديث « أم المؤمنين

عائشة » السابق والدال على أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة « اقرأ » .

١ - هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، من التابعين

كثير الحديث ، قيل اسمه : عبد الله ، وقيل اسماعيل ت ١٠٤هـ .

انظر : تهذيب التهذيب ١٢-١١٥ .

٢ - انظر الاقتان ١-٦٩

ومن علوم القرآن ١٩

ومع القرآن الكريم ١٨٣-١٨٤ .

وقد يمكن الجمع بين الحديثين فيقال :

بأن أول ما نزل على الإطلاق هو قوله تعالى : « اقرأ » . الآية .

وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي هو قوله تعالى : « يا أيها المدثر » . الآية .

ويؤيد هذا التأويل ويقويه ما رواه الشيخان من طريق « الزهري » ،

ت ١٢٤ (١) .

عن « أبي سلمة بن عبد الرحمن » ت ١٠٤ (٢) .

عن « جابر بن عبد الله » ت ٥٧٨ (٣) .

قال :

وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال

في حديثه :

(فيينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك

الذي جاءني بجراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجنثت منه

ربعا) . (٤)

فرجعت إلى أهلي فقلت دثروني دثروني ، فدثروني ، فأنزل الله تعالى :

« يا أيها المدثر » إلى « والرجز فاهجر » قبل أن تفرض الصلاة » (٥) .

١ - هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله ١٢٤ هـ .

٢ - هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ت ١٠٤ هـ .

٣ - هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري ت ٥٧٨ هـ .

٤ - فجنثت منه : أي سقطت منه .

٥ - انظر : الاتقان ١-٦٩-٧٠ .

ومن علوم القرآن ٢٠

ومع القرآن الكريم ١٨٤ .

تعقيب واستنتاج :

ما تقدم يمكنني أن أقرر وأنا مطمئن أن أول ما نزل على الإطلاق قوله تعالى : « اقرأ » الآيات . وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي قوله تعالى : « يا أيها المدثر » الآيات .

إذا فصدر سورة المدثر يعتبر أولية مقيدة لا مطلقة .

القضية الرابعة :

بيان آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق .

بعد البحث والرجوع إلى المصادر وجدت الكتاب نقلوا في ذلك « أحد عشر قولاً » .

واستدلوا على كل قول بأثر أو أكثر .

ولكن المتفحص لهذه الآثار لن يجد فيها حديثاً واحداً مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، مما يوقع الإنسان في حيرة واضطراب .

إلا أن القاضي أبا بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ (١) أراد أن يهون من هول هذه المسألة فقال :

« هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكل ما قالوه ضرب من الاجتهاد وغلبة الظن » .

١ - هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر الباقلاني من كبار علماء الكلام ، كان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، له عدة مؤلفات . توفي سنة ٤٠٣ هـ .
انظر : تاريخ بغداد ٥-٣٧٩
ووفيات الأعيان ١-٦٠٩ .

ثم يمضي فيقول :

« ويحتمل أن كلامهم أخبر عن آخر بما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه ، بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو . »

ثم يقول :

« ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها فيأمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك ، فيظن - بالبناء للمجهول - أنه آخر ما نزل في الترتيب ، أ هـ (١) . »

وبعد أعمال الفكر في هذه الأقوال مجتمعة وجدتها تنقسم إلى قسمين :

• الأول :

أقوال تتحدث عن آخر الآيات نزولاً وجملتها ثمانية أقوال .

• الثاني :

أقوال تتحدث عن آخر السور نزولاً وجملتها ثلاثة أقوال : (٢)

وما دام الحديث مقصوراً على آخر الآيات نزولاً ، فينبغي على كل باحث أو كاتب ألا يخلط بين هذين القسمين .

١ - انظر : الاتقان ١-٨٠ ، ومع القرآن ١٩١ .

٢ - الأول : أنها سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) وهو مروى عن كل من ابن عباس - وابن عمر .
والثاني : أنها سورة المائدة ، وهو مروى عن ابن عمر ، وعائشة .

والثالث : أنها سورة براءة ، وهو مروى عن عثمان بن عفان

لأن ذلك يعتبر ضرباً من عدم الدقة والتحري (١) .

لذلك فإن حديثي هنا سيكون مقصوداً على الأقوال الثمانية الواردة في آخر الآيات نزولاً .

وبعد أعمال الفكر في هذه الأقوال الثمانية وجدتها تنقسم إلى قسمين أيضاً :

• الأول :

أقوال رويت عن أكثر من صحابي وجملتها ثلاثة أقوال .

• والثاني :

أقوال انفرد بروايتها صحابي واحد وجملتها خمسة أقوال .

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الأقوال الثمانية ، نريد أن نتعرف على الصحابة رضي الله عنهم الذين نقلت عنهم هذه الآراء ، وجملتهم ستة . وسأذكرهم مرتين حسب تاريخ وفياتهم :

• الأول :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أبو حفص القرشي ، الصحابي الجليل وثاني الخلفاء الراشدين ، قتل شهيداً سنة ٥٢٣ هـ (٢) .

١ - انظر : الاتقان ١-٧٧-٨١ .

٢ - انظر : تاريخ الخلفاء ٤٠ - والطبقات الكبرى ٢-٢٦٥ .

والاصابة ٢-٥١٨ - وغاية النهاية ١-٤٣٧ .

الثاني :

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الله ، أبو المنذر المدني ، الأنصاري ، من خيرة الصحابة ، ومن كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ت ٨٣٠ (١) .

الثالثة :

أم سلمة رضي الله عنها أم المؤمنين . وهي : هند بنت أبي أمية بن المغيرة ، القرشية المخزومية ت ٨٥٩ على خلاف . (٢)

الرابع :

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومؤسس الدولة الأموية ت ٨٦٠ (٣) .

الخامس :

البراء بن عازب بن الحارث ، أبو عمارة الأوسي ، الصحابي الجليل شهد خمس عشرة غزوة ت بالكوفة ٨٦٢ (٤) .

السادس :

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو العباس ، من خيرة الصحابة ومن المحدّثين ت ٨٦٨ (٥) .

-
- ١ - انظر : صفوة الصفوة ١٨٨-١ و الاصابة ١-٧٩ وغاية النهاية ٢١-١ وتهذيب التهذيب ١-٨٧ .
٢ - انظر : الاصابة ٤٥٨-٤ والطبقات الكبرى ٨٦-٨ .
٣ - انظر : الاصابة ٢-٤٣٣ وتهذيب التهذيب ١٠-٢٠٧ ، وتاريخ الخلفاء ٧٥ .
٤ - انظر : الطبقات الكبرى ٤-٣٦٤ وتهذيب التهذيب ١-٤٢٥ .
٥ - انظر : الاصابة ٢-٢٣٠ وتهذيب التهذيب ٥-٢٧٦ .

بعد ذلك ننتقل لتفصيل الكلام عن الأقوال الثمانية .
وسأبدأ بأصح الأقوال وأرجحها .
ثم أتمم الكلام عن الآراء التي نقلت عن أكثر من صحابي ، لأنها تعتبر
أرجح من التي انفرد بروايتها واحد .
وبهذا يكون البحث متمشياً مع المنهج العلمي الصحيح .

القول الأول :

ان آخر آية نزلت على الإطلاق :

قول الله تعالى :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون » (١) .

وهذا القول مروى عن :

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ت ٥٦٨ .

وإليك بعض الآثار التي تثبت ذلك :

١ - أخرج النسائي ت ٥٣٠٣ .

من طريق « عكرمة بن سليمان » ت ١٩٨ هـ عن « ابن عباس » قال :

« آخر شيء نزل من القرآن :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية (٢) .

١ - سورة البقرة ٢٨١ .

٢ - انظر : الاقتان ١-٧٧ ومن علوم القرآن ٢١ ، ومع القرآن ١٨٧

٢ - أخرج ابن مردويه ت ٤١٠ هـ (١) .

من طريق (سعيد بن جبير) ت ٩٥ هـ (٢) عن (ابن عباس) قال :
آخر آية نزلت :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية (٣) .

٣ - وأخرج « ابن جرير » ت ٣١٠ هـ (٤) من طريق « الضحاك »
ت ١٠٥ هـ (٥) عن (ابن عباس) قال : آخر آية نزلت : « واتقوا
يوماً ، .. الآية » (٦) .

وأخرج « ابن أبي حاتم » (٧) من طريق « سعيد بن جبير » ت ٩٥ هـ . عن
(ابن عباس) ت ٦٨ هـ قال : آخر ما نزل من القرآن كله :

١ - هو : أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، صاحب
التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخاري ت ٤١٠ هـ .
٢ - هو : سعيد بن جبير بن هشام ، أبو عبد الله الكوفي من خيرة
التابعين :

انظر : الطبقات الكبرى ٦-٢٥٦ ووفيات الأعيان

١-٢٥٦ .

٣ - انظر : الاتقان ١-٧٧ .

٤ - هو : محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر ، كان اماماً في
كثير من العلوم منها : التفسير - والقراءات - والحديث

٥ - والفقهاء - والتاريخ ، وغير ذلك له عدة مؤلفات ت ٢١٠ هـ

انظر : معجم الأبناء ٦-٤٢٤ وطبقات المفسرين ٣٠ .

٦ - هو : الضحاك بن مزاحم أبو القاسم من التابعين ت ١٠٥ هـ .

٧ - انظر : الاتقان ١-٧٧ .

انظر : الاتقان ١-٧٨ .

لم يتمكن من الوقوف لابن أبي حاتم هذا على ترجمة حيث لم

تذكر المصنفات اسمه صراحة .

= وبالرجوع إلى « أبي حاتم » وجدتهم ثلاثة :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية .

وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول « ١٥١ (١) .

القول الثاني :

ان آخر ما نزل آية الربا وهي قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » (٢) .

وقد نقل هذا القول عن كل من :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ت ٥٢٣ .

عبد الله بن عباس رضي الله عنه ت ٥٦٨ .

وليك بعض الآثار التي تثبت ذلك :

١ - أخرج البخاري ت ٥٢٥٦ (٣) .

عن « ابن عباس » قال : « آخر آية نزلت آية الربا » (٤) .

١ - أبو حاتم البستي .

٢ - أبو حاتم الرازي .

٣ - أبو حاتم السجستاني .

ولم أدر هو ابن من في هؤلاء الثلاثة .

١ - انظر الاتقان ١/٧٨

ومن علوم القرآن ٢١ .

٢ - سورة البقرة ٢٧٨ .

٣ - هو : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، ابي عبد الله البخاري الحافظ ، صاحب الجامع الصحيح والتصانيف

ت ٥٢٥٦ .

• انظر : تذكرة الحفاظ ٢-١٢٢ وطبقات السبكي ٢-٢ .

٤ - انظر : الاتقان ١-٧٧ .

٢ - روى البيهقي ت ٤٥٨ هـ (١) .

عن « عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه قال : « آخر آية نزلت آية الربا » (٢)

القول الثالث :

ان آخر ما نزل قول الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » إلى قوله تعالى : « وهو رب العرش العظيم » (٣) .

وقد نقل هذا القول عن كل من :

« أبي بن كعب » رضي الله عنه ت ٣٠ هـ .

« وعبد الله بن عباس » رضي الله عنه ت ٦٨ هـ .

وليك بعض الآثار التي ثبتت ذلك :

١ - أخرج ابن مردويه ت ٤١٠ هـ (٤) عن « أبي » قال : « آخر القرآن هدياً بالله هاتان الآيتان : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية (٥) .

٢ - وفي المستدرک عن « أبي بن كعب » قال : « آخر آية نزلت : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » إلى آخر السورة » ١ هـ (٦) .

١ - هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي من أئمة

الحديث له عدة مصنفات توفي ٤٥٨ هـ .

انظر : شذرات الذهب (٣-٣٠٤ وفيات الأعيان ١-٢٤

٢ - انظر : الاتقان ١-٧٧ .

٣ - سورة التوبة ١٢٨-١٢٩ .

٤ - تقدمت ترجمته بالهامش .

٥ - انظر : الاتقان ١-٧٩ ومع القرآن ١٩٠ .

٦ - انظر : الاتقان ١-٧٨ .

٣ - وأخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق «علي بن زيد» ت ١٢٩هـ (١)
عن «ابن عباس» ت ٦٨هـ .

قال : آخر آية نزلت «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» الآية (٢) .

القول الرابع :

ان آخر آية نزلت قوله تعالى :

« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم » إلى آخرها (٣) .

وهذا القول مروى عن أم سلمة رضي الله عنها ت ٥٩هـ . فقد أخرج
«ابن مردويه» ت ٤١٠هـ . من طريق «مجاهد بن جبر» ت ١٠٤هـ (٤) عن
«أم سلمة» قالت : آخر آية نزلت هذه الآية :

« فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم » إلى آخرها (٥) .

القول الخامس :

ان آخر ما نزل قول الله تعالى :

١ - هو : علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، زهير بن جدعان
البصرى ، كان فقيهاً ضريراً ، وليس بالثقة القسوى
ت ١٢٩هـ .

• انظر : تهذيب التهذيب ٧-٢٢٢ .

٢ - سورة التوبة ١٢٨-١٢٩ .

• انظر : الاتقان ١-٧٩ .

٣ - سورة آل عمران ١٩٥ .

٤ - هو : مجاهد بن جبر الخزومي ، من كبار التابعين والمفسرين :

انظر : صفوة الصفوة ٢-١١٧ ، ومعجم الأدباء ٦-٢٤٢

• وتهذيب التهذيب ١٠-٤٢ ، وغاية النهاية ٢-٤١ .

٥ - انظر : الاتقان ١-٨٠ ، ومع القرآن ١٨٨ .

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » إلى آخرها (١) .

وهذا القول مروى عن « عبد الله بن عباس » رضي الله عنهما ت ٥٦٨ هـ
فقد أخرج البخاري ت ٥٢٥٦ هـ عن « ابن عباس » قال : نزلت هذه الآية :

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » .

هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء » (٢) .

القول السادس :

ان آخر ما نزل قول الله تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » (٣) .

وهذا القول مروى عن : البراء بن عازب بن الحارث ت ٥٦٢ هـ

فقد روى الشيخان عن « البراء بن عازب » قال : آخر آية نزلت ويستفتونك

إلى آخرها (٤) .

القول السابع :

ان آخر آية نزلت قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » إلى آخرها (٥) .

وهذه آية الدين . وقد نقل هذا القول عن :

-
- ١ - سورة النساء ٩٣
 - ٢ - انظر : الاتقان ١-٨٠ ، ومع القرآن ١٨٩
 - ٣ - سورة النساء ١٧٦
 - ٤ - انظر : الاتقان ١-٧٧ ومع القرآن ١٨٩
 - ٥ - سورة البقرة ٢٨٢

« سعيد بن المسيب » ت ٥٩٤ (١) .

فقد أخرج « ابن جرير » ت ٥١٥٠ (٢) .

« ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه « ابن جرير » ت ٨٣١٠ .

عن : « معاوية بن أبي سفيان » . أنه تلا هذه الآية « لَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ » الآية . وقال : أنها آخر آية نزلت من القرآن .

قال « ابن كثير » هذا أثر مشكل ، ولعله أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ، ولا تغير حكمها ، بل هي مثبتة بحكمة (١) .

تعقيب وترجيح :

بعد أن ذكرت هذه الأقوال الثمانية الواردة في بيان آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق ، أخال سائلاً يسأل ويقول :

أي هذه الأقوال أرجح ؟

وأقول :

اني أرى أن أرجح هذه الأقوال هو القول الأول المروي عن « ابن عباس » رضي الله عنهما ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول هذه الآية :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (٢) .

تسع ليال فقط ثم نقل إلى الرفيق الأعلى ، حسبما جاء في الأثر الذي أخرجه « ابن أبي حاتم » .

علماً بأنه لم يحظ أي قول من بقية الأقوال بمثل هذا النص . والله أعلم .

١ - انظر : الاتقان ١-٨٠ ، ومع القرآن ١٩٠ .

٢ - سورة البقرة ٢٨١ .

القضية الخامسة :

فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن :

بين أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه ، ثم نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في كل من « مكة المكرمة » و « المدينة المنورة » وهذا ما أطلق عليه : المكّي ، والمدني .

وهذا ما سنتعرض لبيانه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى :

إلا أنني أخالي أجد سؤالاً يفرض نفسه وهو :

ما فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن ؟

وأجيب على ذلك بما يأتي :

ان لذلك فوائد جليّة ومتنوعة . ولكن أبرز هذه الفوائد ما يلي :

الأول :

معرفة الناسخ والمنسوخ فيما إذا وردت آيتان في موضوع واحد وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين يغيّر الحكم في الأخرى تغييراً لا يمكن معه الجمع .

عندئذ نعرف أن المتأخر منهما ناسخ للمتقدم ، فنعمل بالتأخر ونترك

العمل بالتقدم . مثال ذلك :

١ - قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأظهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم » (١) .
وتضمنت هذه الآية حكماً شرعياً وهو :

أن الإنسان إذا أراد أن يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه أن يقدم قبل ذلك صدقة لله تعالى ما دام قادراً على التصديق .
فشق ذلك على المسلمين .

فتلطف الله بهم وخفف عنهم ونسخ ذلك الحكم بقوله تعالى في الآية التالية لها :

« أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وثاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون » (٢)

٢ - وقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (٣) .

ومعنى قوله : « حق تقاته » بأنه يجب على الإنسان أن يطيع الله تعالى ولا يعصاه مطلقاً ، ويشكره فلا يكفره بأي حال من الأحوال ويذكره ، فلا ينساه لحظة .

فقال الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم :

ومن يقوى على ذلك يا رسول الله ؟

-
- ١ - سورة المجادلة ١٢
 - ٢ - سورة المجادلة ١٣
 - ٣ - سورة آل عمران ١٠٢

فخفف الله تعالى على عباده وتلطف بهم لأنه بعباده رؤوف رحيم ،
ونسخ ذلك بقوله تعالى :

« فاتقوا الله ما استطعتم » (١)

وغير ذلك كثير وسيأتي تفصيله أثناء الحديث عن الناسخ والمنسوخ .
الثاني :

معرفة تاريخ التشريع الإسلامي - مثال ذلك :

١ - أننا إذا عرفنا أن الآيات التي نزلت في فرضية الصلاة كانت بمكة
قبل الهجرة .

٢ - وأن الآيات التي نزلت في فرضية الزكاة والصوم كانت في السنة
الثانية من الهجرة .

٣ - وأن الآيات التي نزلت في فرض الحج كانت في السنة السادسة
من الهجرة ، أمكننا أن نرتبها ترتيباً تشريعياً فنقول :

أن أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج .

ومثل : ما إذا عرفنا أن قوله تعالى :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » (٢) .

علمنا أن تشريع الجهاد كان بالمدينة في السنة الثانية للهجرة ، وهكذا (٣) .

١ - سورة التغابن ١٦ .

٢ - سورة الحج ٢٩ .

٣ - قال ابن عباس : لما خرج رسول الله صلعم من مكة قال

أبوبكر : أنا والله لنهلكن ، فأنزل الله : « أذن للذين يقاتلون

بأنهم ظلموا » الآية . قال أبوبكر فعرفت أنه سيكون قتال اهـ .

المرجع : أسباب النزول للنيسابوري ص ٢٠٨ ويقال أنها نزلت

في طريق الهجرة وهو أمثل . وانظر من علوم القرآن ٢٢ .

الثالث :

معرفة التدرج في التشريع الإسلامي ، عندئذ ندرك حكمة الله تعالى العالمة
ورحمته بعباده في أخذهم بالموادة والرفق ، والبعد بهم عن غوائل الطفرة
والعنف .

« التدرج في تحريم الخمر »

وبيان ذلك أن تحريم الخمر مر بأطوار ثلاثة :

• الأول :

التصريح بأن الخمر ضررها أكثر من نفعها ، وذلك للحث على التنفير
منها والبعد عنها .

يرشد لذلك قول الله تعالى :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما
أكبر من نفعهما » (١) .

• الثاني :

تحريم الخمر قرب القيام للصلاة حتى لا يدخل المصلي الصلاة وهو
سكران .

يوضح ذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون » (٢) .

• والطور الثالث :

تحريم الخمر تحريماً قطعياً في جميع الأوقات .

١ - سورة البقرة ٢١٩ .

٢ - سورة النساء ٤٣ .

ودليل ذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون » (١) .

فإذا ما علمنا أن آية سورة (البقرة) التي نزلت في بيان أن ضرر الخمر أكثر من نفعها ، أدركنا أنها أول آية نزلت بشأن الخمر . وكان نزولها قبل نزول آيات سورتي : النساء والمائدة .

وإذا ما علمنا أن آية سورة (النساء) نزلت في النهي عن تحريم الخمر في أوقات مخصوصة أدركنا أنها نزلت قبل آية سورة المائدة . وأن آية سورة المائدة كانتا آخر شيء نزل في تحريم الخمر . والله أعلم .

الفصل الثاني

تقسيمات القرآن

سأحدث في هذا الفصل بإذن الله تعالى عن :
تقسيمات القرآن الكريم .
وسيشتمل ذلك على التقسيمات الآتية :

أولاً - تقسيمه إلى :

- (أ) مكّي ، ومدني .
- (ب) تحديد معنى المكّي - والمدني .
- (ج) طرق معرفة كل منهما .
- (د) علامات كل من المكّي ، والمدني .
- (هـ) مميزات كل من المكّي ، والمدني .

ثانياً : تقسيمه إلى سور ، وما يتعلق بذلك مثل :

- (أ) العدد الإجمالي لسور القرآن .
- (ب) معنى السورة .
- (ج) حكم ترتيب سور القرآن .
- (د) الحكمة من جعل القرآن سوراً .
- (هـ) هل أسماء السور توقيفية ؟

ثالثاً - تقسيم سور القرآن إلى ما يلي :

(أ) الطول .

(ب) المثين .

(ج) المثاني .

(د) المفصل .

رابعاً - تقسيم القرآن إلى ما يأتي :

(أ) العدد الإجمالي لآيات القرآن .

(ب) معنى الآية .

(ج) فوائد معرفة الآية .

(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية .

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن .

(و) عدد كلمات القرآن .

وهذا تفصيل الكلام على ذلك :

٤ - تقسيم القرآن إلى : مكّي ، ومدني ، وما يتعلق بذلك :

من المعلوم أن مدة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم امتدت إلى ثلاث وعشرين سنة تقريباً ، مكث منها ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة ، وعشر سنوات في المدينة المنورة بعد الهجرة .

وفي خلال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام تم نزول القرآن الكريم .

ومن هنا جاز تقسيم القرآن إلى : مكّي ، ومدني .

وفي هذا المقام أجد عدة أسئلة تفرض نفسها وتتطلب الإجابة عليها مثل :

- ١ - ما السور التي نزلت في مكة ؟
- ٢ - ما السور التي نزلت في المدينة ؟
- ٣ - ما المقصود من المكي ، والمدني ؟
- ٤ - هل هناك طرق لمعرفة كل منهما ؟
- ٥ - ما علامات كل منهما ؟
- ٦ - ما مميزات كل منهما ؟

وإليك الإجابة على كل هذه التساؤلات حسب ترتيبها :

أولاً :

أن السور التي نزلت بمكة المكرمة وفقاً لما ورد عن :

« عبد الله بن عباس » رضي الله عنهما « ت ٥٦٨ هـ هي كما يلي : (١)

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
إذا الشمس كورت	٧	اقرأ باسم ربك	١
سبح اسم ربك الأعلى	٨	ن والقلم	٢
والليل إذا يغشى	٩	والضحى	٣
والفجر	١٠	يا أيها المزمل	٤
ألم نشرح لك صدرك	١١	يا أيها المدثر	٥
والعصر	١٢	تبت يدا أبي لهب	٦

١ - انظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ٨ ، ٩ .

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
لا أقسم بهذا البلد	٣٢	إنا أعطيناك الكوثر	١٣
والسما والطارق	٣٣	أهاكم التكاثر	١٤
اقربب الساعا	٣٤	أرايت الذي	١٥
ص والقرآن ذي الذكر	٣٥	ألم تركيب فعل ربك	١٦
الأعراف	٣٦	قل يا أيها الكافرون	١٧
قل أوحى إلى	٣٧	قل هو الله أحد	١٨
يس والقرآن الحكيم	٣٨	والنجم	١٩
الفرقان	٣٩	عيس وتولى	٢٠
الإسراء	٤٠	إنا أنزلناه في ليلة القدر	٢١
مريم	٤١	الحج	٢٢
طه	٤٢	والشمس وضحاها	٢٣
الشعراء	٤٣	والسما ذات البروج	٢٤
النمل	٤٤	والتين والزيتون	٢٥
القصص	٤٥	لإيلاف قريش	٢٦
فصلت	٤٦	القارعة	٢٧
يونس	٤٧	لا أقسم بيوم القيامة	٢٨
هود	٤٨	ويل لكل همزة لمزة	٢٩
يوسف	٤٩	والمرسلات عرفا	٣٠
الحجر	٥٠	ق والقرآن المجيد	٣١

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
إبراهيم	٦٨	الأنعام	٥١
أقربت الساعة	٦٩	الصفات	٥٢
الأنبياء	٧٠	لقمان	٥٣
المؤمنون	٧١	سبأ	٥٤
السجدة	٧٢	الزمر	٥٥
الرعد	٧٣	غافر	٥٦
الطور	٧٤	السجدة	٥٧
تبارك الذي بيده الملك	٧٥	الشورى	٥٨
الحاقة	٧٦	الزخرف	٥٩
سأل سائل بعذاب واقع	٧٧	الدخان	٦٠
عم يتساءلون	٧٨	الجاثية	٦١
النازعات	٧٩	الأحقاف	٦٢
إذا السماء انفطرت	٨٠	الذاريات	٦٣
إذا السماء انشقت	٨١	هل أتاك حديث الغاشية	٦٤
الروم	٨٢	الكهف	٦٥
العنكبوت	٨٣	النحل	٦٦
		نوح	٦٧

كما تقدم يتبين أن جملة السور القرآنية التي نزلت بمكة المكرمة ثلاث وثمانون سورة ، سوى بعض آيات في بعض هذه السور فإنها نزلت بالمدينة المنورة . (١)

بعد ذلك تنتقل لبيان السور التي نزلت بالمدينة المنورة فنقول :

ثانياً :

ان السور التي نزلت بالمدينة المنورة وفقاً لما ورد عن :

« عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما هي كما يلي :

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
إذا جاءك المنافقون	١٦	ويل للمطففين	١
النور	١٧	البقرة	٢
المجادلة	١٨	الأنفال	٣
الحجرات	١٩	آل عمران	٤
التحریم	٢٠	الأحزاب	٥
الجمعة	٢١	المتحنة	٦
التغابن	٢٢	النساء	٧
الصف	٢٣	إذا زلزلت	٨
الفتح	٢٤	الحديد	٩
المائدة	٢٥	محمد صلى الله عليه وسلم	١٠
التوبة	٢٦	هل أتى على الإنسان	١١
إذا وقعت الواقعة	٢٧	الطلاق	١٢
والعاديات ضبحا	٢٨	لم يكن	١٣
القلق	٢٩	الحشر	١٤
الناس	٣٠	إذا جاء نصر الله	١٥

• مما تقدم تبين أن جملة السور القرآنية التي نزلت بالمدينة المنورة ثلاثين سورة . (١)

• فإذا ما جمعنا السور المكية وهي ٨٣ سورة .

• على السور المدنية وهي ٣٠ سورة .

• يكون مجموع سور القرآن ١١٣ سورة .

• فإذا قيل :

• من المعلوم لدى أهل العلم أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة .

• فما هي السورة المكتملة للعدد الذي ذكرته ؟

• أقول :

• تلك السورة هي سورة الفاتحة .

• فإن قيل :

• ولماذا لم تذكرها ضمن أحد هذين القسمين ؟

• أقول : لقد قيل أنها نزلت مرتين :

• إحداهما بمكة – والأخرى بالمدينة ، والراجح أنها نزلت بمكة . وبهذا

• يصبح العدد الإجمالي لسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة .

• ثالثاً :

• ب - للعلماء في تحديد معنى المكي والمدني ثلاثة مذاهب :

• الأول :

• وهو أرجحها وأشهرها :

• ١ - انظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ١٠ .

أن المكّي : ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة
سواء نزل في مكة نفسها ، أو في ناحية أخرى .

والمدني : ما نزل بعد الهجرة . سواء نزل بالمدينة أو في غيرها .
وعلى هذا المذهب يكون المعتبر في التقسيم زمن النزول .

• المذهب الثاني :

أن المكّي : ما نزل بمكة ، سواء كان نزوله قبل الهجرة ، أو بعدها ،
وسواء كان في مكة نفسها أو فيما جاورها من الأماكن القريبة منها مثل :
منى ، وعرفات ، والحديبية ، لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه .
والمدني : ما نزل بالمدينة المنورة ، سواء نزل في المدينة نفسها أو في مكان
قريب منها .

مثل : بدر ، وأحد .

وعلى هذا يكون المعتبر في التقسيم مكان النزول ، وعليه يكون ما نزل
في غير مكة ، والمدينة ، وضواحيهما ، قسماً مستقلاً ، لا يطلق عليه مكّي ،
ولا مدني .

• المذهب الثالث :

أن المكّي : ما نزل في شأن أهل مكة ، سواء كان قبل الهجرة أو بعدها .
والمدني : ما لم ينزل في شأن أهل مكة ، ومن على شاكلتهم من عبدة
الأصنام .

وعلى هذا يكون المعتبر في التقسيم المخاطبين . (١)

١ - أنظر : الاتقان، ١/٢٣ .
وتاريخ المصحف ٩٨-١٠٠ .

ج - رابعاً : طرق معرفة كل من المكي ، والمدني :

قال القاضي أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ (١) : « إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين .

ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول ، لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة » أ هـ .

وقد ورد عن (ابن عباس) وغيره عد المكي والمدني (٢) .

إذا فالسبيل الوحيد لمعرفة المكي والمدني هو النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم .

د - خامساً : علامات كل من : المكي والمدني :

لقد وضع العلماء السابقون جزاهم الله خيراً - علامات يمكن بموجبها معرفة كل من المكي ، والمدني . وبالرجوع إلى هذه العلامات وتفحصها وجدتها تنقسم إلى قسمين :

(أ) ما يطرد على الدوام .

(ب) وما هو غير مطرد على الدوام .

وإليك تفصيل الكلام على ذلك :

• أولاً : علامات المكي المطردة مثل :

-
- ١ - هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبوبكر الباقلاني من كبار علماء الكلام ، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، له عدة مصنفات ت ٤٠٢ هـ : انظر :
 - وفيات الأعيان ١-٦٠٩ ، وتاريخ بغداد ٥-٣٧٩ .
 - ٢ - انظر : الاتقان ١-٢٤ ، وتاريخ المصنف ١٠١ .

١ - وجود لفظ « يا بني آدم » في السورة : فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية .

٢ - وجود آية سجدة في السورة : فكل سورة فيها آية سجدة تعتبر مكية .

٣ - وجود لفظ « كلا » في السورة : فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية .

ولذا قال بعضهم :

ما نزلت « كلا » بيئرب ، ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى بل كلها موجودة في النصف الأخير منه ، وجملتها ثلاث وثلاثون مرة ، في خمس عشرة سورة .

• ثانياً : علامات المكّي غير المطردة مثل :

١ - اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ « يا أيها الناس » .

فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ دليل على أن السورة مكية ، وهذا في الغالب ، لأنه وجد هذا في سور وهي مدنية ، وذلك في السور الآتية :

• سورة البقرة فيها آيتان وهما :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم » (١) .

« يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً » (٢) .

• سورة النساء ، فيها ثلاث آيات وهي :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » (٣) .

١ - سورة البقرة ٢١ .

٢ - سورة البقرة ١٦٨ .

٣ - سورة النساء ١ .

« يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم » (١) .

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » (٢) .

• سورة الحج فيها آية واحدة وهي :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم » (٣) .

• سورة الحجرات فيها آية واحدة وهي :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » (٤) .

٢ - ذكر قصة آدم وإبليس في السورة :

فكل سورة ذكرت فيها هذه القصة مكية ، إلا سورة البقرة فهي مدنية مع ذكر هذه القصة فيها .

٣ - إفتتاح السورة بحروف التهجي مثل :

ألم - الر - طس - طسم - حم - ق - ن - ص - الخ .

فكل سورة افتتحت بحروف التهجي فهي مكية . إلا سورتين وهما :

البقرة ، وآل عمران ، فهما مدنيتان بالاجماع ، مع كونهما مفتحتين

بحروف التهجي .

٤ - اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل ، وأحوال الأمم السابقة .

لما فيها من أبلغ المواعظ وأنفع العبر ، ومن تقرير سنته تعالى في كونه ،

وهي إهلاك الأمم المكذبة لرسولها ، الخارجة عن أوامر ربها ، ونصر من

صدق رسول الله تعالى ، ووقف عند حدوده ، وعمل بشرائعه .

١ - سورة النساء ١٧٠ .

٢ - سورة النساء ١٧٤ .

٣ - سورة الحج ١ .

٤ - سورة الحجرات ١٣ .

فكل سورة تضمنت ما ذكر فهي مكية ، إلا سورة « البقرة » فهي مدنية مع اشتغالها على ذكر قصص بعض الرسل .

٥ - قصر الآيات :

فقصر آيات السورة أمانة على كونها مكية ، وذلك لأن أهل مكة كانوا أهل فصاحة ، فيناسبهم الإيجاز دون الأطناب .

وهذه العلامة أغلبية ، إذ قد يوجد قصر الآيات في السورة وهي مدنية ،

مثل سورة « النصر » فأياتها قصيرة مع كونها مدنية (١) .

• ثالثاً : علامات المدني المطردة مثل :

١ - اشتغال السورة على آية مصدرة بلفظ :

« يا أيها الذين آمنوا » .

فذكر الآية المصدرة بهذا اللفظ في السورة سواء كانت هذه الآية في أول السورة أم في وسطها ، أم في آخرها ، أمانة على أن هذه السورة مدنية ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة ، فخطبوا بها أيها الذين آمنوا ، وإن كان غيرهم داخلهم فيهم .

وهذه العلامة تعتبر مطردة ، فإذا ما وجد هذا اللفظ في سورة ما ،

كان ذلك دليلاً على أن هذه السورة مدنية قطعاً (٢) .

• رابعاً : علامات المدني غير المطردة مثل :

١ - طول أكثر سورته وآياته .

١ - انظر : الاتقان ١-٢٧ فما بعدها ، وتاريخ المصحف ص ١٠٢

فما بعدها ، ومع القرآن الكريم ص ١٤٦ فما بعدها .

٢ - انظر : الاتقان ص ١-٤٧ ، وتاريخ المصحف ص ١٠٥ ،

ومع القرآن الكريم ص ١٤٩ .

ولعل ذلك يرجع إلى أن أهل المدينة كانت حاملهم وطباعهم ، وخصالهم
تستدعي الاسهاب ، لأن قلوبهم كانت على استعداد لتلقي الدعوة الإسلامية ،
كما أن استعدادهم لقبول الإسلام ومبادئه كان أيضاً عاملاً من عوامل طول
السور والآيات ، نظراً لأن بسط الأحكام الشرعية ، كان يقتضي الاطناب .
وسيتجلى لنا ذلك أثناء الحديث عن مميزات كل من المكّي والمدني .

وهذه العلامة غير مطردة بل هي في الغالب ، إذ قد توجد سورة طويلة
وآياتها طوال وهي مكية ، مثل : سورة « الأنعام » .

كما توجد سورة قصيرة ، وآياتها قصار ، مثل : سورة « النصر » (١) .

هـ - خامساً : مميزات كل من المكّي ، والمدني :

بعد أن تحدثت عن علامات كل من المكّي ، والمدني ، أتحدث عن
مميزات كل منهما .

فإن قيل :

هل هناك فارق بين العلامات والمميزات ؟

أقول :

بالبحث لم أجد أحداً نص على ذلك ، بل الكتاب يدمجون العلامات في
المميزات ولا يفرقون بينهما .

ولكني أرى أنهما يختلفان فيما يلي :

١ - إن المميزات أخص من العلامات :

وبيان ذلك أن المميزات تتعلق بأسلوب القرآن الكريم ، فالأسلوب المكّي
يختلف عن الأسلوب المدني .

١ - انظر : الانتقان ١/٤٧ .

كما أن المميزات تتعلق بالمضمون ، فالسور المكية مضمونها مغاير
في الغالب لمضمون السور المدنية .

ولذلك تفصيل الكلام على ذلك .

(أ) مميزات السور المكية :

تتميز السور المكية على المدنية بأمر منها :

١ - عناية آي السورة بالدعوة إلى المقصد الاسمي من الدين ، وهو
الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، والاعتقاد بأنه تعالى موصوف بكل كمال ،
ومتمزه عن كل نقص ، والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرسالة
من سبقه من الرسل والإيمان بملائكة الله تعالى ، وكتبه ، وباليوم الآخر ،
وما فيه من بعث ونشور وحساب ، وجزاء ، ونعيم ، وعقاب ، مع إثبات
ذلك كله بأدلة الكون ، وبراهين العقل .

ثم النعي على المشركين ، وإبطال شبههم ، وتفنيذ مزاعمهم ، وتسفيه
أحلامهم بعكوفهم على عبادة أصنام لا تملك لأنفسها - فضلاً عن غيرها -
نفعاً ولا ضرراً .

٣ - تتحدث آي السور المكية عن مثالب المشركين البغيضة ، وعاداتهم
المنكرة ، من القتل بغير حق ، وواد البنات ، وأكل أموال اليتامى ظلماً ،
إلى غير ذلك من الموبقات ، مع تحذيرهم منها ، ووعيدهم على ارتكابها ،
وهذا بحسب الغالب ، إذ قد توجد آيات في سورة مدنية مشتملة على ما ذكرنا .

٣ - تتضمن آيات السور المكية الحث على التحلي بأصول الفضائل
وأهمها المكارم ، من الصدق في الحديث ، والصبر على المكروه ، وحسن
المعاملة ، والتواضع ولين الجانب ، وطهارة القلوب ، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، إلى غير ذلك من الفضائل .

وهذا بحسب الغالب أيضاً ، إذ قد توجد آيات في سور مدنية مشتملة على بعض ما ذكرنا (١) .

(ب) مميزات السور المدنية :

تمييز السور المدنية عن المكية بأمر منها :

١ - دعوة أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى ، إلى الانصواء تحت لواء الإسلام ، وإقامة البراهين على فساد عقيدتهم ، وبعدهم عن الحق والصواب ، وتحريفهم كتب الله تعالى .

٢ - اشتمال السور المدنية على الإذن بالجهاد ، وبيان أحكامه ، لأن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة .

٣ - تتضمن السور المدنية بيان قواعد التشريع التفصيلية ، والأحكام العملية في العبادات والمعاملات ، والقرائض ، وأحكام الحدود ، وأنواع القوانين : المدنية - والجنائية - والاجتماعية - وأحكام الأحوال الشخصية ونظام الأسرة ، إلى غير ذلك من دقائق التشريع الإسلامي .

٤ - اشتمال السور المدنية على أحوال المنافقين ، ومواقفهم من الدعوة المحمدية ، وثوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على جليلة أمرهم وما يكون له من حسد ، وعداوة ، وذلك أن المنافقين لم تنشأ جماعتهم إلا في « المدينة المنورة » حيث قويت شوكة المسلمين ، وأصبح ضعاف الإيمان يخشون المسلمين من جهة ، ويخشون الكفار من جهة أخرى ، فالحديث عن المنافقين إذا إنما كان بعد الهجرة النبوية (٢) .

١ - أنظر : تاريخ المصحف ص ١٠٤-١٠٥ .

ومع القرآن الكريم ص ١٥٢ .

٢ - أنظر : تاريخ المصحف ص ١٠٥ ، ومع القرآن الكريم

ص ١٦٢-١٦٤ .

٥ - من مميزات الآيات المدنية طولها في الغالب الأعم .

فائدة :

ينبغي أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مكية يصدق بحالتين :

• الأولى : أن يكون جميع آياتها مكية ، مثل :

سورة « المدثر » فإن آياتها كلها مكية باتفاق .

• الثانية : أن يكون معظم آياتها «مكية» مثل : سورة « النحل » فإنها

مكية ما عدا الآيات الثلاث في آخرها من قوله تعالى :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به »

إلى آخر السورة(١) فإنها مدنية .

كما أنه ينبغي أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مدنية يصدق بحالتين أيضاً :

• الأولى : أن يكون جميع آياتها مدنية مثل : سورة « النور » .

• الثانية : أن يكون أغلب آياتها مدنية ، مثل : سورة « محمد » صلى

الله عليه وسلم فإنها كلها مدنية إلا قوله تعالى :

« وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم

فلا ناصر لهم »(٢) .

فإنها مكية ، لتزولها حين خروج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة

مهاجراً إلى المدينة المنورة .

١ - سورة النحل ١٢٦-١٢٨ .

٢ - سورة محمد ١٣ .

تقسيم القرآن الكريم الى سور وما يتعلق بذلك
(العدد الاجمالي لسور القرآن الكريم)

لقد اختلف في العدد الاجمالي لسور القرآن الكريم :

١ - فالجمهور على أن العدد الاجمالي لسور القرآن - ١١٤ - مائة وأربع عشرة سورة .

وهذا هو القول الصحيح الذي لا ينبغي العدول عنه .

٢ - وقيل : هو - ١١٣ - مائة وثلاث عشرة سورة ، وذلك يجعل « الأنفال ، وبراءة » سورة واحدة (١) .

ب - فإن قيل : ما معنى السورة ؟

أقول : « السورة هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع ، وأقلها ثلاث آيات » (٢) .

(ج) حكم ترتيب سور القرآن الكريم :

فإن قيل : هل ترتيب سور القرآن على ما هو عليه الآن توقيفي ؟

-
- ١ - انظر : الاتقان ١-١٨٤ .
٢ - انظر مباحث علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٢٩ ،
والبرهان للزركشى ١-٢٦٤ ، والاتقان ١-١٥٠ .

أقول : بالرجوع إلى أقوال العلماء أمكنني أن أستخلص من ذلك
ثلاثة أقوال :

● الأول : وهو أرجحها أنه توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم ،
كما أخبر به جبريل عليه السلام ، عن رب العزة جل وعلا .

وقد ذهب إلى هذا الرأي جمهور العلماء مثل :

- ١ - أبي بكر الأنباري ت ٣٢٨ هـ .
- ٢ - أبي جعفر النحاس ت ٣٣٨ هـ .
- ٣ - الكرمانى ت ٥٠٢ هـ تقريباً .
- ٤ - الطيبي ت ٧٤٣ هـ .

وغيرهم .

وإليك بعض أقوال العلماء التي تدل على ذلك :

قال أبو بكر بن الأنباري ت ٣٢٨ هـ (١) :

« أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة ،
فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر ، ويوقف جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة .

١ - هو : محمد بن القاسم بن محمد ، أبوبكر بن الأنباري
البغدادي صاحب التصانيف الكثيرة في القراءات وغيرها
ت ٣٢٨ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٢-١٨١ ، وتذكرة الحفاظ
٢-٥٧ ، وبغية الوعاة ص ٩١ .

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن الكريم أ هـ (١) .

وقال الكرمانى ت ٥٠٢ هـ (٢) :

« ترتيب السور هكذا هو من عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين ، وكان آخر الآيات نزولا :

« واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » بالبقرة (٣) .

فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين أ هـ (٤) .

وقال الطيبي ت ٧٤٣ هـ (٥) :

« أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح ، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ » أ هـ (٦) .

-
- ١ - انظر : الاتقان ص ١٧٦-١ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .
 - ٢ - هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر ، الكرمانى الشافعى ، الملقب تاج القراء ، توفي بعد سنة ٥٠٠ هـ ، له عدة مصنفات ، انظر : بغية الوعاة ص ٢٨٧ البقرة ٢٨١ .
 - ٣ - انظر الاتقان ص ١٧٧-١ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .
 - ٤ - هو : الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي ، أحد شراح الكشف ٧٤٣ هـ : ، انظر بغية الوعاة ص ٢٢٨ .
 - ٥ - انظر : الاتقان ١٧٧-١ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .

وقال أبو جعفر النحاس ت ٢٣٨ هـ (١) :

« المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحديث واثلة بن الأسقع » .

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المثين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل » أ هـ .

قال النحاس :

فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مؤلف من ذلك الوقت ، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد ، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن (٢) .

-
- ١ - هو : أحمد بن محمد بن اسماعيل المصرى ، أبو جعفر ، من علماء التفسير والأدب . ولد وتوفى بمصر ، له عدة مصنفات منها : تفسير القرآن وأعراب القرآن وشرح أبيات سيبويه ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، وشرح المعلقات السبع ت ٢٣٨ هـ . انظر : الاعلام ١-١٩٩ ، وفوات الوفيات ١-٦١ ، وأعلام النبلاء ٤-٢٢ ، وأعيان الشيعة ٩-٣٥٦ .
- ٢ - انظر البرهان ١-٢٥٨ ، والاتقان ١-١٧٨ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٣ .

وقال السيوطي ت ٩١١ (١) :

« وما يدل على أن ترتيب السور توقيفي أن الحواميم رتبت ولاء ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبحات ولاء ، بل فصل بين سورها ، وفصل بين طسم الشعراء ، وطسم القصص بطس النمل مع أنها أقصر منهما ، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس النمل عن القصص» أ هـ (٢) .

وأقول : هذا الرأي هو الذي أرجحه وأختاره .

● القول الثاني :

أن ترتيب السور توقيفي منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا سورتى « الأنفال وبراءة » فإن وضعهما في موضعهما كان باجتهاد من عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ووافقه عليه الصحابة .

ومن جنح إلى هذا المذهب « البيهقي » ت ٤٥٨ هـ (٣) .

١ - هو : جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر السيوطي ولد بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين بل أقل من ذلك ، ثم تلقى العلوم الشرعية ، والعربية على مشاهير علماء عصره ، وشاع صيته بين الأنام ، واشتهر بالعلم ، والزهد ، والورع . ألف في كثير من الفنون ، بلغت مصنفاته كما قال : « ابن أبياس » ٦٠٠ ستمائة مؤلف : انظر : مقدمة الاتقان ص ٣-٧ وحسن المحاضرة .

٢ - انظر : الاتقان ١-١٧٩ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٥ .

٣ - هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي الشافعي من أئمة الحديث ، له العديد من المصنفات منها : السنن الكبرى ، وشعب الإيمان ، والأسماء ، والصفات ت ٤٥٨ هـ : انظر : طبقات السبكي ص ٢-٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣-٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ١-٢٤ ، وشذرات الذهب ٣-٣٤ .

وقد استدل أصحاب هذا القول بما روي عن : ابن عباس ت ٦٨ هـ رضي الله عنهما أنه قال : « قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى « الأنفال » وهي من المثاني ، وإلى « براءة » وهي من المثين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر » بسم الله الرحمن الرحيم « ووضعتوها في السبع الطول ؟ فقال « عثمان » :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر » بسم الله الرحمن الرحيم « ووضعتهما في السبع الطول » أ هـ (١) .

تعقيب :

هذا الحديث يدل على أن وضع سورة « الأنفال » و « براءة » في موضعهما على الترتيب الموجود بالمصحف الآن كان باجتهاد « عثمان بن عفان » حيث نسب ذلك إلى نفسه ، ولم يسنده للنبي صلى الله عليه وسلم .
أما ما عداهما من بقية السور فالحديث يدل على أن « عثمان » اتبع في ترتيبها توقيف النبي صلى الله عليه وسلم .

إلا أنني أرى أن هذا الحديث لا يعد دليلاً قوياً لصحة هذا القول :

١ - انظر : الاتقان ١-١٧٢ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٢ .

وذلك لأن الإمام « الترمذي » ت ٢٧٩ هـ (١) ، وهو أحد رواته قال فيه :
« إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث « عوف عن يزيد الفارسي عن
ابن عباس » وقد سئل « يحيى بن معين » عن « يزيد الفارسي » فقال :
« لا أعرفه » أ هـ .

ورجل هذا شأنه مجهول الحال لا ينبغي أن تكون روايته التي انفرد بها
بما يعتمد عليها في هذه القضية المهمة المتعلقة بالقرآن الكريم .

● القول الثالث :

أن ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم .

ومن جنح إلى هذا القول كل من :

١ - الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ (٢) .

١ - هو : محمد بن عيسى بن سورة السلمى ، أبو عيسى ، من
أهل ترمذ على نهر جيحون ، من أئمة الحديث وحفاظه وكان
يضرب به المثل في الحفظ ، له عدة مؤلفات منها : الجامع
الكبير في الحديث . والشامائل النبوية ، والتاريخ والعلل
في الحديث توفي بترمذ سنة ٢٧٩ هـ : انظر : الأعلام
٧-٢١٢ ، والأنساب للمسماعنى ٩٥ ، ودائرة المعارف
الاسلامية ٥-٢٢٨ ، ووفيات الأعيان ١-٤٨٤ ، وميزان
الاعتدال ٢-١١٧ ، والفهرست ص ٢٣٣ .

٢ - هو الامام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله
المدنى أحد الأئمة الأعلام ، وصاحب المذهب المشهور ،
وامام دار الهجرة ، له عدة مصنفات منها « الموطأ »
ت ١٧٩ هـ : انظر : صفوة الصفوة ٢-٩٩ ، ووفيات الأعيان
١-١٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ١-١٩١ ، وتهذيب التهذيب ٥-١٠٠ .

٢ - أبي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ في أحد قوله (١) .

٣ - أبي الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ (٢) .

ومما استدلل به أصحاب هذا القول :

إن مصاحف الصحابة رضي الله عنهم كانت مختلفة في ترتيب السور .

مثال ذلك :

١ - إن مصحف « علي بن أبي طالب » ت ٤٠ هـ رضي الله عنه كان مرتب السور حسب ترتيب نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم :

فكان أوله سورة العلق ، ثم المدثر ، ثم ن ، ثم الزمل ، ثم تبت ، ثم التكوير ، وهكذا إلى آخر السور المكية ، ثم السور المدنية حسب ترتيب نزولها .

٢ - ومصحف « عبد الله بن مسعود » ت ٣٢ هـ « وأبي بن كعب » ت ٣٠ هـ كانا مبدؤين بسورة البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائة ، وهكذا (٣) .

فلو كان ترتيب السورة توقيفياً لما اختلفت فيه المصاحف .

١ - هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبوبكر الباقلاني من كبار علماء الكلام ، اشتهر بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب ، له الكثير من المصنفات وبخاصة في علم الكلام ت ٤٠٣ هـ : انظر : تاريخ بغداد ٥-٢٧٩ ، ووفيات الأعيان ١-٦٩ .

٢ - انظر : الاتقان ١-١٧٦ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٠ .

٣ - انظر : الاتقان ١-١٨١ ، ومباحث في علوم القرآن ١٤٢ ، وتاريخ المصحف ص ١٢٠ .

تعقيب :

وأرى أن هذا القول مردود من ثلاثة أوجه :

الأول : إن المصاحف المذكورة كانت مرتبة قبل العرضة الأخيرة للقرآن الكريم .

وبعد العرضة الأخيرة التي استقر بها القرآن رتب المصاحف وفقاً لمقتضاها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني :

الأدلة التي قدمتها والتي تفيد أن ترتيب السور كان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثالث :

أن « زيد بن ثابت » ت ٤٥ هـ رضي الله عنه - الذي أسند إليه الخليفة « عثمان بن عفان » رئاسة اللجنة التي تولت كتابة المصاحف :

كان من كتاب الوحي ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم ، وعلم ترتيب السور من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« زيد الذي هذه بعض صفاته لا بد أن يكون ترتيبه لسور القرآن الكريم أثناء كتابة المصاحف وفقاً لما تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم .

والدليل على صحة ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم على العمل الذي قام به « زيد بن ثابت » ورفاقه .

(د) فإن قيل ما الحكمة من جعل القرآن سوراً ؟

أقول : قال « الزركشي » ت ٧٩٤ هـ (١) :

« الحكمة في تسوير القرآن سوراً تحقيق لكون السورة بمجرد ما معجزة وآية من آيات الله تعالى ، وسورت السور طويلاً ، وقصاراً ، وأوساطاً تنبهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز .

فهذه سورة « الكوثر » ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة « البقرة » ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم ، والتدرج من السور القصصار إلى الأوساط ، ثم إلى طويلاً ، تيسيراً من الله تعالى على عباده في حفظ كتابه ، ومدارسته ففرى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من يحصل على شيء نفيس .

وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى .

هذا إلى أن لكل سورة نمطاً مستقلاً : فسورة « يوسف » تترجم عن قصته ، وسورة « براءة » تترجم عن أحوال المنافقين ، وكان أسرارهم ، وغير ذلك « أ هـ (٢) .

١ - هو : الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات ، وجهيدة من جهابذة أهل النظر ، وأرباب الاجتهاد ، ومن علماء الفقه ، والحديث ، والتفسير وأصول الدين . ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ولم يكد يتجاوز سن الحداثة بعد أن حفظ القرآن الكريم حتى انتظم في طلب العلم ، وكان رضى الخلق ، محمود الخصال ، عذب الشمائل ، متواضعاً ، له العديد من المصنفات : انظر : مقدمة البرهان ١-٥ ، ١٣ ، والدرر الكامنة ٣-٢٩٧ وشذرات الذهب ٦-٣٣٥ .

٢ - انظر البرهان ١-٢٦٤ ، وتاريخ المصحف ص ١٢١ .

وقال الزمخشري ت ٥٣٨ هـ (١) :

« من فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً ما يلي :

إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً .

ومنها : أن القاريء إذا ختم سورة ، ثم أخذ في أخرى ، كان ذلك أنشط له ، وأبعث على التحصيل منه لو استمرت على الكتاب بطوله «(٢)» .

(٥) فإن قيل : هل أسماء السور توقيفية ؟

أقول :

يرى جمهور العلماء أن أسماء جميع سور القرآن توقيفية ، حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم لكل سورة اسماً خاصاً بها .

ولذلك بعض الأحاديث التي تدل على ذلك .

١ - قال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة « البقرة » (٣) في ليلة كفتاه » (٤) .

٢ - وقال صلى الله عليه وسلم :

١ - هو : محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ، صاحب القدم في النحو ، واللغة والتفسير ، والأدب ، له عدة مصنفات منها : تفسير الكشاف ت ٥٢٨ هـ : انظر : أنباء الرواة ٢٦٥-٣ .

٢ - انظر البرهان ١-٢٦٥ ، وتاريخ المصحف ص ١٢١ .

٣ - الآيتان من قوله تعالى : « أمن الرسول » الى آخر السورة .

٤ - أخرجه الشيخان .

« اقرؤا الزهراوين : « البقرة وآل عمران » فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تهاجان عن أصحابهما » الحديث (١) .

٣ - وقال عليه الصلاة والسلام :

« من حفظ عشر آيات من أول سورة « الكهف » عصم من الدجال »
أ هـ (٢) .

٤ - وعن « عائشة » ت ٥٨ هـ رضي الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر ، وبي إسرائيل » أ هـ (٣) .

٥ - وقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ « الدخان » في ليلة الجمعة غفر له » أ هـ (٤) .

٦ - وقال صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ سورة « الواقعة » كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » أ هـ (٥) .

-
- | | |
|--------------------|---------------------|
| ١ - أخرجه مسلم . | ٤ - رواه مسلم . |
| ٢ - رواه الترمذى . | ٥ - أخرجه الترمذى . |
| ٣ - ذكره ابن وهب . | |

تنبیه:

اعلم أن أسماء سور القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين :

● الأول : ما يكون للسورة اسم واحد ، وهذا القسم تعتبر التسمية فيه حينئذ توكيفية ، بناء على القول الراجح حسبما ذكرت سابقاً .

والسور ذات الاسم الواحد أربع وسبعون سورة ، وبيانها فيما يلي :

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
المؤمنون	١٣	النساء	١
النور	١٤	الأنعام	٢
الفرقان	١٥	الأعراف	٣
القصص	١٦	يونس	٤
العنكبوت	١٧	هود	٥
الروم	١٨	يوسف	٦
لقمان	١٩	الرعد	٧
الأحزاب	٢٠	إبراهيم	٨
سبأ	٢١	الحجر	٩
الصفات	٢٢	مريم	١٠
ص	٢٣	الأنبياء	١١
الشورى	٢٤	الحج	١٢

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
الإنسان	٤٤	الزخرف	٢٥
المرسلات	٤٥	الدخان	٢٦
النازعات	٤٦	الأحقاف	٢٧
عبس	٤٧	الفتح	٢٨
التكوير	٤٨	الحجرات	٢٩
الانفطار	٤٩	الذاريات	٣٠
المطففين	٥٠	الطور	٣١
الانشقاق	٥١	النجم	٣٢
البروج	٥٢	الواقعة	٣٣
الطارق	٥٣	الحديد	٣٤
الأعلى	٥٤	الجمعة	٣٥
الغاشية	٥٥	المنافقون	٣٦
الفجر	٥٦	القلم	٣٧
البلد	٥٧	الحاقة	٣٨
الشمس	٥٨	نوح	٣٩
الليل	٥٩	الجن	٤٠
الضحى	٦٠	الزمل	٤١
الشرح	٦١	المدثر	٤٢
التين	٦٢	القيامة	٤٣

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
التكاثر	٦٩	العلق	٦٣
العصر	٧٠	القدر	٦٤
الهمزة	٧١	البينة	٦٥
الفيل	٧٢	الزلزلة	٦٦
قريش	٧٣	العاديات	٦٧
الكوثر	٧٤	القارعة	٦٨

● القسم الثاني :

يكون للسورة أكثر من اسم ، وحينئذ يكون بعض الأسماء توقيفياً ،
والبعض الآخر غير توقيفي .

فإن قيل : من الواضع إذا الأسماء غير التوقيفية ؟

أقول : لعله الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعون .

والسور التي لها أكثر من اسم جعلتها أربعون سورة ، وبيانها فيما يلي :

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
النمل	١٢	الفاتحة	١
السجدة	١٣	البقرة	٢
فاطر	١٤	آل عمران	٣
يس	١٥	المائدة	٤
الزمر	١٦	الأنفال	٥
غافر	١٧	براءة	٦
فصلت	١٨	النحل	٧
الجاثية	١٩	الإسراء	٨
محمد	٢٠	الكهف	٩
ق	٢١	طه	١٠
اقتربت	٢٢	الشعراء	١١

اسم السورة	مسلسل	اسم السورة	مسلسل
عم	٣٢	الرحمن	٢٣
لم يكن	٣٣	المجادلة	٢٤
الماعون	٣٤	الحشر	٢٥
الكافرون	٣٥	المتحنة	٢٦
النصر	٣٦	الصف	٢٧
تبت	٣٧	الطلاق	٢٨
الإخلاص	٣٨	التحریم	٢٩
الفلق	٣٩	الملك	٣٠
الناس	٤٠	سأل	٣١

وهذا تفصيل القول في السور التي لها أكثر من اسم :
أولاً : سورة « الفاتحة » .

سميت بأسماء متعددة ، وقد أوصلها السيوطي ت ٩١١ هـ إلى خمسة وعشرين
إسماً (١) إلا أنني سأذكر هنا أرجح الأقوال في ذلك .

وإليك هذه الأسماء وبيان علة التسمية لكل منها :

١ - أم القرآن .

٢ - فاتحة الكتاب .

٣ - السبع المثاني .

١ - انظر : الانتقان ١-١٥ ، ١٥٥ .

فقد أخرج « ابن جرير الطبري » ت ٣١٠ هـ (١) عن « أبي هريرة »
ت ٥٧ هـ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« هي أم القرآن ، وهي الفاتحة ، وهي السبع المثاني » (٢) .

فإن قيل : لم سميت بهذه الأسماء ؟

أقول : لعلها سميت بذلك لأنه يفتح بها كل من :

١ - المصحف .

٢ - التعليم .

٣ - القراءة في الصلاة .

وقال الماوردي ت ٤٥٠ هـ (٣) :

« سميت بذلك لتقدمها ، وتأخر ما سواها تبعاً لها ، لأنها أمته ، أي تقدمته
ولهذا يقال لرأية الحرب : « أم » لتقدمها ، واتباع الجيش لها ، كما يقال «ملكة» :
« أم القرى » لتقدمها على سائر القرى » أ هـ (٤) .

١ - هو : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، أبو جعفر الطبري ، كان

اماماً في فنون كثيرة منها : التفسير - والقراءات -

والحديث - والفقه - والتاريخ ، له عدة مؤلفات ، أشهرها :

جامع البيان عن تأويل القرآن ، وكتاب التاريخ ، وأخبار

الرسول والملوك . ت ٣١٠ . انظر : معجم الأدباء ٦-٤٢٤

وطبقات المفسرين ص ٣٠ . ووفيات الأعيان ١-٥٧٧ .

٢ - انظر : الاتقان ص ١٥١ .

٣ - هو : علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي ، كان

من كبار فقهاء الشافعية ، له العديد من المصنفات ، منها

تفسيره « العيون والنكت » المعروف بتفسير الماوردي ،

ت ٤٥٠ هـ : انظر : وفيات الأعيان ١-٤١٠ ، وطبقات

السبكي ٣-٣٠٣ .

٤ - انظر : الاتقان ١-١٥٢ .

وقيل : أم الشيء أصله ، وهي أصل القرآن ، لانطوائها على جميع أغراض القرآن ، وما فيه من العلوم والحكم . والله أعلم بالصواب .

٤ - القرآن العظيم .

٥ - السبع المثاني .

فقد روى « البيهقي » ت ٤٥٨ هـ (١) .

عن « أبي هريرة » ت ٥٥٧ هـ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم القرآن : « هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » أ هـ (٢) .

فإن قيل : لم سميت بذلك ؟

أقول : لعلها سميت بذلك لاشتمالها على أصول المعاني التي في القرآن الكريم .

ولأنها سبع آيات .

وقيل : فيها سبعة آداب ، في كل آية أدب مستقل .

وأما « المثاني » فيحتمل أن يكون مشتقاً من الثنية ، لما فيها من الثناء على الله تعالى .

ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثنية ، لأنها تثنى في كل رقعة .

-
- ١ - هو : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي ، الشافعي من أئمة الحديث ، صنف التصانيف الكثيرة ، منها : السنن الكبرى ، وشعب الإيمان ، والأسماء والصفات ، ت ٤٥٨ هـ : انظر : طبقات السبكي ٣-٣ ، وتذكرة الحفاظ ٣-٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ١-٢٤ ، وشذرات الذهب : انظر الاتقان ١-١٥٢ .
- ٢ - انظر : الاتقان ١-١٥٣ .

ويقوي هذا القول ما أخرجه « ابن جرير الطبري » ت ٣١٠ هـ عن « عمر ابن الخطاب » ت ٢٣ هـ رضي الله عنه أنه قال : « السبع المثاني فاتحة الكتاب ، تنفى في كل ركعة » أ هـ (١) .

وقيل : لأنها نزلت مرتين : الأولى بمكة ، والثانية بالمدينة .
وقيل : على قسمين : ثناء ، ودعاء .

وقيل : لأنها كلما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالاحبار عن فعله ، كما في الحديث (٢) .

وهذه الأسماء الخمسة المتقدمة كلها توقيفية .

ولذلك بعض الأسماء غير التوقيفية :

١ - الوافية :

فقد كان « سفيان بن عيينة » ت ١٩٨ هـ (٣) يسميها بهذا الاسم .

وذلك لأنها وافية بما في القرآن من المعاني .

وقال « الثعلبي » ت ٤٢٧ هـ (٤) .

١ - انظر : الاتقان ١-١٥٣ .

٢ - انظر المصدر السابق .

٣ - هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي محدث مجمع على صحة حديثه ، وروايته ت ١٩٨ هـ : انظر : تاريخ بغداد ص ٩-١٧٤ ، وتهذيب التهذيب ٤-١١٧ .

٤ - هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو اسحاق الثعلبي النيسابوري ، العالم بالتفسير ، والقراءات ، له العديد من المصنفات ، منها تفسيره « الكشف والبيان في تفسير القرآن » ت ٤٢٧ هـ : انظر : وفيات الأعيان ١-٢٦ ، وأنباء الرواة ١-١١٩ ، وغاية النهاية ١-١٠٠ ، ويغية الوعاة ١٥٤ انظر الاتقان ١-١٥٣ .

« سميت الوافية لأنها لا تقبل التنصيف ، فإن كل سورة من القرآن لو قريء نصفها في « الركعة » من الصلاة ، والنصف الثاني في الركعة الثانية لحاز . وهذا بخلاف سورة الفاتحة لأنه لا يجوز ذلك » .

انتهى مع التصرف (١) .

٢ - الكافية .

وقد سميت بذلك لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ، ولا يكفي غيرها عنها ، والله أعلم .

٣ - المناجاة .

وذلك لأن العبد يتاجي فيها ربه بقوله :

« إياك نعبد وإياك نستعين » (٢) .

٤ - الدعاء .

وذلك لاشتمالها عليه في قوله تعالى :

« اهدنا الصراط المستقيم » (٣) .

٥ - التفويض .

وذلك لاشتمالها على تفويض العبادة لله تعالى وإخلاص العبودية له وحده

دون غيره في قوله تعالى :

« إياك نعبد وإياك نستعين » (٤) .

١ - انظر الاقنـان ١٥٣-١ .

٢ - سورة الفاتحة ٥ .

٣ - سورة الفاتحة ٦ .

٤ - سورة الفاتحة ٥ .

ثانياً : سورة « البقرة » وقد ورد فيها العديد من الأسماء (١) .

أذكر منها ما يلي :

١ - البقرة .

وقد سميت بذلك لذكر قصة « البقرة » فيها ، وذلك ابتداء من قوله تعالى :

« وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة » (٢) .

٢ - سنام القرآن .

ولعلها سميت بذلك لأن سنام كل شيء أعلاه ، وسورة البقرة تعتبر أطول سورة في القرآن الكريم ، وهي مشتملة على الكثير من قواعد التوحيد والعديد من الأحكام الشرعية ، والآداب الإسلامية ، والله أعلم بالصواب .

وهذان الإسمان توقيفان .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

فسطاط القرآن .

فقد كان « خالد بن معدان الكلاعي » ت ١٠٤هـ :

يسميتها فسطاط القرآن « وذلك لعظمتها ، ولما جمع فيها من الأحكام التي

لم تذكر في غيرها . (٤)

ثالثاً : سورة آل عمران .

من أسمائها التوقيفية :

-
- ١ - انظر : الاتقان ١-١٥٥ .
 - ٢ - سورة البقرة ٦٧ .
 - ٣ - سورة البقرة ٧٣ .
 - ٤ - انظر الاتقان ١-١٥٥ .

١ - آل عمران .

فقد روى « سعيد بن منصور » في سننه عن « أبي عطف عمران بن عطف »
ت ١٣٠هـ قال : « اسم آل عمران في التوراة طيبة » (١) .

٢ - انزهراء :

ففي صحيح « مسلم » ت ٢٦١هـ (٢) .

تسميتها وسورة البقرة « الزهراوين » (٣) .

رابعاً : سورة المائدة :

من أسماؤها التوقيفية :

١ - المائدة .

ولعلها سميت بذلك لذكر قصة المائدة في قوله تعالى :

« إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا
مائدة من السماء » (٤) إلي قوله تعالى :

« لا أعذبه أحداً من العالمين » (٥) .

-
- ١ - انظر الاتقان ١-١٥٥ .
٢ - هو مسلم بن الحجاج القشيري ، أبو الحسن النيسابوري
الحافظ ، صاحب الصحيح ، والتصانيف ، ت ٢٦١هـ : انظر
الفهرست ص ٣٣٦ ، وتاريخ بغداد ١٣-١٠٠ ، ووفيات
الأعيان ٢-١١٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢-١٥٠ .
٣ - انظر الاتقان ١-١٥٥ .
٤ - سورة المائدة ١١٢ .
٥ - سورة المائدة ١١٥ .

٢ - العقود .

وذلك لقول الله تعالى في أولها :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- المنقذة :

ولعلها سميت بذلك لأنها تنقذ من ينفذ الأحكام والأوامر التي اشتملت

عليها من النار . (٢)

خامساً : سورة الأنفال :

ولعلها سميت بذلك لذكر حكم « الأنفال » فيها لقوله تعالى :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه » (٣) .

وهذا الإسم توقيفي .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- بدر .

فقد روى « سعيد بن جبير » ت ٥٩٥ هـ (٤) .

١ - سورة المائدة ١

٢ - انظر الاتقان ١-١٥٥ .

٣ - سورة الأنفال ٤١ .

٤ - هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء ، أبو عبد الله

الكوفي ، من التابعين المشهورين ، قتله « الحجاج ابن

يوسف » بواسطة شهيدا سنة ٥٩٥ هـ : انظر : وفيات الأعيان

١-٢٥٦ ، والطبقات الكبرى ٦-٢٥٦ ، وغاية النهاية ١-٣٠٥

وتهذيب التهذيب ٤-١١ .

قال : قلت « لابن عباس » ت ٥٦٨ .

سورة « الأنفال » فقال : « تلك سورة بدر » أ هـ (١) .

ولعلها سميت بذلك لذكر غزوة « بدر » فيها ، ابتداء من قوله تعالى :

« وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » .

إلى آخر الآيات الواردة في ذلك (٢) .

سادساً : سورة براءة :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

فقد قال « عكرمة » ت ١٠٥ هـ (٣) .

قال « عمر بن الخطاب » ت ٢٣ هـ رضي الله عنه :

ما فرغ من تنزيل « براءة » حتى ظننا أنه لا يبقى منا أحد إلا سينزل فيه

أ هـ (٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - التوبة .

وذلك لقول الله تعالى فيها :

« لقد تاب الله على النبي » الآية (٥) .

١ - أنظر : الاتقان ١-١٥٥ .

٢ - سورة الأنفال ٧- فما بعدها .

٣ - هو : عكرمة مولى ابن عباس ، البربري ، أبو عبد الله

المدني ، كان من أعلم التابعين بتفسير القرآن ت ١٠٥ هـ :

أنظر : الطبقات الكبرى ٥-٢٨٧ ، وميزان الاعتدال ٢٠٨٢-

وغاية النهاية ١-٥١٥ ، وتهذيب التهذيب ٢-٢٦٢ .

٤ - أنظر : الاتقان ١-١٥٦ .

٥ - سورة براءة ١١٧-

٢ - الفاضحة .

فقد أخرج « البخاري » ت ٥٢٥٦ عن « سعيد بن جبير » ت : ٥٩٥ قال قلت « لابن عباس » ت ٥٥٦٨ : سورة التوبة قال : التوبة ، هي (الفاضحة) ما زالت تنزل : ومنهم ، ومنهم « حتى ظننا ألا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها » أه (١) ٣ - المثيرة :

فمن « قتادة » ت ٥١١٨ (٢)

قال : كانت هذه السورة يقال لها : « المثيرة » وذلك لأنها أثارت وكشفت عن مثالب المنافقين ، وعوراتهم . (٣) وهناك أسماء أخرى غير توقيفية ذكرها السيوطي فليرجع إليها من أراد (٤) سابعاً : سورة النحل :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعلها سميت بذلك لورود الحديث عن النحل فيها في قوله تعالى :

« وأوحى ربك إلى النحل » (٥) .

إلى قوله :

« إن في ذلك لآيةً لِّقَوْمٍ يَشْكُرُونَ » (٦) .

١ - أنظر الاتقان ١-١٥٥-١٥٦ .

٢ - هو : قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي ، أبو الخطاب البصري الضريير ، الأكمه ، حافظ ، مفسر ، ومن العلماء بالعربية ت ٥١١٨ : أنظر : صفوة الصفوة ٢-١٨٢ ومعجم الأدباء ٦-٢٠٢ ، وتذكرة الحفاظ ١-١١٥ ، وتهذيب التهذيب ٨-٣٥١ وغاية النهاية ٢-٢٥ .

٣ - أنظر الاتقان ١-١٥٦ .

٤ - أنظر الاتقان ١-١٥٦ .

٥ - سورة النحل ٦٨ .

٦ - سورة النحل ٦٩ .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– النعم :

فقد قال « قتادة » ت ١١٨ : تسمى سورة (النعم) وذلك لما عدد الله

فيها من النعم على عباده . (١)

ثامناً : سورة الإسراء :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لاشتغالها على ذكر خبر اسراء النبي صلى الله عليه وسلم في قوله

تعالى :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » (٢) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

– سورة بني إسرائيل :

ولعل ذلك لاشتغالها على بعض أخبار بني إسرائيل في قوله تعالى :

« وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » (٣) .

تاسعاً : سورة الكهف :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعل ذلك لورود اسم « الكهف » فيها مثل قوله تعالى :

« فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته » (٤) .

١ – انظر : الاتقان ١٥٦١ .

٢ – سورة الاسراء ١ .

٣ – سورة الاسراء ٤ .

٤ – سورة الكهف ١٦ .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- أصحاب الكهف :

وذلك لورود أصحاب الكهف فيها : اقرأ قول الله تعالى :

« أم حسبت أن أصحاب الكهف » (١) .

عاشراً : سورة طه :

وهذا هو الإسم التوقيفي

ولعلها سميت بذلك لأنها بدئت بهذا اللفظ

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الكليم :

ولعل سبب تسميتها بذلك لذكر مكالمة الله تعالى لنيه « موسى » عليه

السلام .

اقرأ في ذلك قول الله تعالى :

« وهل أتاك حديث موسى » .

إلى آخر الآيات المرتبطة بذلك . (٢)

الحادي عشر : سورة الشعراء :

وهذا هو الإسم التوقيفي لها .

ولعلها سميت بذلك لورود لفظ « الشعراء » فيها في قوله تعالى :

« والشعراء يتبعهم الغاؤون » (٣) .

١ - سورة الكهف - ٩ انظر : كل هذا في الانتقان ١-١٥٧ .

٢ - سورة طه ٩ .

٣ - سورة الشعراء ٢٢٤ .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - سورة الجامعة :

ولعل سبب تسميتها بذلك اشتغالها على ذكر أخبار وأحوال عدد كثير

من الأمم السابقة (١) .

الثاني عشر : سورة النمل :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لوقوع حديث النملة فيها ، في قوله تعالى :

« حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة » الآيات (٢) .

ومن أسمائها غير التوقيفية .

١ - سورة سليمان : (٣)

وذلك لاشتغالها على قصة نبي الله « سليمان »

اقرأ قول الله تعالى :

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير » .

الآيات (٤) .

الثالث عشر : سورة السجدة :

وهذا هو اسمها التوقيفي .

١ - أنظر : الاتقان ١-١٥٧ .

٢ - سورة النمل ١٨

٣ - سورة النمل ١٧

٤ - أنظر : الاتقان ١-١٥٧ .

وذلك لورود لفظ السجدة فيها ، في قوله تعالى :
« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها خروا سجداً » (١) .
ومن أسمائها غير التوقيفية :
- سورة المضاجع :

وذلك لورود لفظ المضاجع فيها ، اقرأ قول الله تعالى :
« تتجافى جنوبهم عن المضاجع » (٢) .

الرابع عشر : سورة فاطر :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، في قوله تعالى :

« الحمد لله فاطر السموات والأرض » (٣) .
ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الملائكة : (٤)

وذلك لاشتغالها على بعض صفات الملائكة ، اقرأ قول الله تعالى :

« جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » (٥) .

الخامس عشر : سورة يس :

وهذا الإسم توقيفي

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ . ومن أسمائها التوقيفية أيضاً :

١ - سورة السجدة - ١٥

٢ - سورة السجدة - ١٦

٢ - سورة فاطر - ١

٤ - انظر : الاتقان ١- ١٥٧ .

٥ - سورة فاطر - ١

٢ - « قلب القرآن »

فقد أخرج « الترمذي » من حديث (أنس) أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها « قلب القرآن » (١)

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - الدافعة .

٢ - القاضية .

وذلك لأنها تدفع عن الذي يعمل بما جاء فيها من تعاليم وأحكام وآداب « كل سوء » وتسبب في قضاء الله تعالى لصاحبها « حاجته » (٢)

السادس عشر : سورة الزمر :

وهذا هو الإسم التوقيفي لها .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، اقرأ مثلاً قول الله تعالى :

« وسبق الدين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا » (٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الغفر . (٤)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، اقرأ قول الله تعالى :

« لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها

الأنهار » (٥) .

١ - انظر : الاتقان ١-١٥٧ .

٢ - انظر : الاتقان ١-١٥٧ .

٣ - سورة الزمر - ٧٣ .

٤ - انظر : الاتقان ١-١٥٧ .

٥ - سورة الزمر - ٢٠ .

السابع عشر : سورة غافر :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها . اقرأ قول الله تعالى :

« غافر الذنب وقابل التوب » (١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - الطول (٢)

لقول الله تعالى :

« شديد العقاب ذي الطَّوْلِ » (٣) .

٢ - المؤمن (٤)

لقول الله تعالى :

« وقال رجل مؤمن » (٥) .

الثامن عشر : سورة فصلت :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لقول الله تعالى :

« كتاب فصلت آياته » (٦) .

ومن أسمائها التوقيفية :

١ - سورة غافر - ٢

٢ - أنظر : الاتقان ١٥٧-١

٢ - سورة غافر - ٢

٤ - أنظر : الاتقان ١٥٧-١

٥ - سورة غافر ٢٨

٦ - أنظر فصلت - ٢

١ - السجدة (١)

لقول الله تعالى :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن » (٢) .

التاسع عشر : سورة الجاثية :

وهذا هو الإسم التوقيفي :

لقول الله تعالى :

« وترى كل أمة جاثية » (٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - سورة الشريعة . (٤)

لقول الله تعالى :

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » (٥) .

العشرون : سورة « محمد » صلى الله عليه وسلم :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

لقول الله تعالى :

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق

من ربهم » (٦) .

١ - أنظر : الاتقان ١-١٥٧

٢ - أنظر فصلت ٢٧-

٣ - سورة الجاثية ٢٨-

٤ - أنظر : الاتقان ١-١٥٧

٥ - سورة الجاثية ١٨-

٦ - سورة محمد ٢-

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة القتال (١) .

وذلك لاشتغالها على قتال الكفار .

اقرأ قول الله تعالى :

« فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » (٢) .

الحادي والعشرون : : سورة ق :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاح السورة بهذا اللفظ :

« ق والقرآن المجيد » (٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الباسقات (٤) .

لقول الله تعالى :

« والنخلَ باسقات » (٥) .

الثاني والعشرون : سورة اقربت :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ :

« اقربت الساعة » (٦) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - انظر: الاتقان ١-١٥٧

٢ - سورة محمد ٤-

٣ - سورة ق ١-

٤ - انظر: الاتقان ١-١٥٧

٥ - سورة ق ١٠-

٦ - سورة اقربت ١-

— سورة القمر (١) .

وذلك لاشتغالها على ذكر حادثة انشقاق القمر .

اقرأ قول الله تعالى :

« وانشق القمر » (٢) .

الثالث والعشرون : سورة الرحمن :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ الجليل :

« الرحمن . علم القرآن » (٣) .

ومن أسمائها التوقيفية أيضاً :

٢ — عروس القرآن .

فقد أخرج « البيهقي » ت ٥٤٥٨ (٤)

عن « علي بن أبي طالب » ت ٥٤٠ رضي الله عنه أنها تسمى « عروس

القرآن » . (٥)

الرابع والعشرون : سورة المجادلة :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لاشتغالها على حادثة مجادلة « خولة بنت ثعلبة » النبي صلى الله عليه

وسلم بخصوص مظاهرة زوجها منها وهو : « أوس بن الصامت » .

١ — انظر : الاتقان ١-١٥٧

٢ — سورة اقتربت ١-

٣ — سورة الرحمن ١ ، ٢

٤ — سبقت ترجمته .

٥ — انظر : الاتقان ١-١٥٧

اقرأ قول الله تعالى :

« قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها » .

إلى آخر الآيات . (١)

ومن أسمائها غير التوقيفية :

— سورة الظهر (٢)

وذلك لأنها بينت حكم الظهر في قوله تعالى :

« والذين يظاهرون منكم من نسائهم » .

إلى آخر الآيات . (٣)

الخامس والعشرون : سورة الحشر :

وهذا هو الإسم التوقيفي :

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، في قوله تعالى :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول

الحشر » (٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

— سورة بني النضير :

فقد أخرج البخاري ت ٢٥٦ هـ (٥) عن « سعيد بن جبير » ت ٩٥ هـ

١ - سورة المجادلة ١-

٢ - انظر : الاتقان ١-١٥٧

٣ - سورة المجادلة ٢-

٤ - سورة الحشر ٢-

٥ - هو : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ، أبو

عبد الله البخاري ، الحافظ له عدة مصنفات أشهرها :

الجامع الصحيح ت ٢٥٦ هـ : انظر : تاريخ بغداد ٢-٤ ،

٣٦ وتذكرة الحفاظ ٢-١٢٢ وطبقات السبكي ٢-٢ ، وتهذيب

التهذيب ٩-٤٧ .

قال : قلت لابن عباس ت ٥٦٨ : « سورة الحشر » قال : قل : سورة
بني النضير « أ هـ (١) وبنو النضير هم المقصودون بقول الله تعالى :
« هو الذي أخرج الدين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول
الحشر » (٢) .

السادس والعشرون : سورة الممتحنة :

وهذا هو الإسم التوقيفي لها .

قال « ابن حجر العسقلاني » ت ٨٥٢ (٣) : « المشهور في هذه التسمية
أنها بفتح الحاء على أنها صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها .

وقد تكسر الحاء ، على أنها صفة السورة ، كما قيل لبراءة : الفاضحة « (٤) .

ومن أسماؤها غير التوقيفية :

— سورة المودَّة (٥) .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

-
- ١ - انظر : الاتقان ١٥٨١
 - ٢ - والمراد بأول الحشر حشر بني النضير الى الشام . انظر :
تفسير الجلالى ٤٦٣ .
 - ٣ - هو : أحمد بن على بن محمد الكنانى ، العسقلانى ، أبو
الفضل ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من (عسقلان)
بفلسطين ، كان فصيح اللسان رواية للشعر ، عارفاً بأيام
المقدمين له عدة مصنفات منها : الدرر الكامنة ، ولسان
الميزان ، والقاب الرواه ، وتهذيب التهذيب ، والإصابة ،
توفى بمصر عام ٨٥٢ هـ : انظر : التبر المسبوك ٢٣٠ ،
والضوء اللامع ٢-٣٦ ، والبدر الطالع ١-٨٧ ، ولسان
الميزان ٦- ، وبدائع الزهور ٢ ، ٣٢ .
 - ٤ - انظر : الاتقان ١٥٨١
 - ٥ - المصدر السابق ١٥٨١ .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » (١) .

السابع والعشرون : سورة الصَّف :

وهذا هو الإسم التوقيفي

وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » (٢) .

الثامن والعشرون : سورة الطلاق :

ومن أسمائها غير التوقيفية :

— سورة الحوارين (٣)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

« كما قال عيسى ابن مريم للحواريين » (٤) .

الثامن والعشرون : سورة الطلاق :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ومن أسمائها غير التوقيفية

— سورة النساء القصرى :

كما أخرجه « البخاري » ت ٥٢٥٦

عن « عبد الله بن مسعود » ت ٥٣٢ رضي الله عنه (٥) .

١ - سورة المتحنة - ١

٢ - سورة الصَّف ٤

٣ - أنظر : الاتقان ١٥٨١

٤ - سورة الصَّف ١٤

٥ - أنظر : الاتقان ١٥٨١

ولعل السبب في هذه التسمية اشتمال السورة على عدة أحكام متعلقة بالنساء .

التاسع والعشرون : سورة التحريم :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعل ذلك لأنها صدرت بحكم شرعي وهو : لما واقع النبي صلى الله عليه وسلم أمته مارية القبطية « في بيت زوجه » « حفصة » وكانت غائبة : فشق ذلك عليها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هي حرام علي ، فأنزل الله تعالى قوله : « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » .

أي شرع لكم تحليلها . (١)

ومن أسماؤها غير التوقيفية :

— سورة لم تحرم . (٢)

وذلك لاشتغالها على هذا اللفظ في قوله تعالى :

« يا أيها النبي لم تحرم » (٣) .

الثلاثون : سورة تبارك :

وهذا هو الإسم توقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ : « تبارك » وقد ذكر السيوطي ت ٩١١ هـ

عدة أسماء أخرى توقيفية لها ، أذكر منها ما يلي :

١ - انظر : تفسير الجلالين ٤٧٦

٢ - انظر : الاتقان ١٥٨-١

٣ - سورة التحريم ١

١ - سورة الملك . (١)

وذلك لاشتغالها على هذا اللفظ في قوله تعالى :

« تبارك الذي بيده الملك » (٢) .

٢ - أخرج الترمذي ت ٥٢٧٩

من حديث « ابن عباس » ت ٥٦٨ مرفوعاً :

« هي المانعة » هي المنجية تنجيه من عذاب القبر . أه (٣)

وعن « أنس بن مالك » ت ٥٩٣ (٤)

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها المنجية » أه (٥) .

وعن « ابن مسعود » ت ٥٢٢ رضي الله عنه .

« كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة » . (٦)

الحادي والثلاثون : سورة سأل :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

١ - أنظر : الاتقان ١٥٨١

٢ - سورة الملك ١

٣ - أنظر : الاتقان ١٥٨١

٤ - هو : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد ، أبو حمزة

الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ومن رواية الحديث الكثيرين ت ٥٩٣ ، أنظر : الاصابة ٧١-١

٥ - أنظر : الاتقان ١٥٨١

٦ - أنظر : المصدر السابق

« سأل سائل بعذاب واقع » (١) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

— سورة المعارج . (٢)

وذلك لوقوع هذا اللفظ فيها في قوله تعالى :

« من الله ذي المعارج » (٣) .

الثاني والثلاثون : سورة عمّ :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

« عمّ يتساءلون » (٤) .

ومن أسمائها غير التوقيفية

١ — سورة النبأ

٢ — سورة التساؤل (٥)

وذلك لاشتغالها على هذين اللفظين في قوله تعالى :

« عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم » (٦) .

الثالث والثلاثون : سورة لم يكن :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

١ — سورة المعارج — ١

٢ — انظر : الاتقان ١-١٥٩

٣ — سورة المعارج — ٢

٤ — سورة عمّ ١

٥ — انظر الاتقان ١-١٥٩

٦ — سورة عمّ ٣ ، ٤ .

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين » (١) .
ومن أسمائها غير التوقيفية :

— سورة البينة : (٢)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها . قال تعالى :

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
البينة » (٣) .

الرابع والثلاثون : سورة أرأيت :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ ، قال تعالى :

« أرأيت الذي يكذب بالدين » (٤) .
ومن أسمائها غير التوقيفية :

— سورة الدين : (٥)

وذلك لورود هذا اللفظ فيها .

الخامس والثلاثون : سورة الكافرون :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« قل يا أيها الكافرون » (٦) .
ومن أسمائها غير التوقيفية :

١ - سورة البينة ١

٢ - أنظر : الاتقان ١-١٥٩

٣ - سورة البينة ١

٤ - سورة الماعون ١

٥ - أنظر : الاتقان ١-١٥٩

٦ - الكافرون ١

١ - سورة العادة . (١)

ولعل ذلك لاشتمالها على العديد من الكلمات المشتقة من (ع ب د)
السادس والثلاثون : سورة النصر :

وهذا هو الإسم التوقيفي .
وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :
« إذا جاء نصر الله والفتح » (٢) .
ومن أسماؤها غير التوقيفية :

١ - سورة التوديع (٣) .

ولعل ذلك لما فيها من الإيماء إلى قرب وفات النبي صلى الله عليه وسلم .
السابع والثلاثون : سورة تبت :

وهذا هو الإسم التوقيفي .
وذلك لافتتاحها بهذا اللفظ .
ومن أسماؤها غير التوقيفية :
- سورة المسد (٤) .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :
« في جيدها جبل من مسد » (٥) .

-
- ١ - أنظر : الاتقان ١-١٥٩
٢ - سورة النصر ١
٣ - أنظر : الاتقان ١-١٥٩
٤ - أنظر : الاتقان ١-١٥٩
٥ - سورة تبت ٥ .

الثامن والثلاثون : سورة الإخلاص :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

ولعل ذلك لاشتغالها على آيات ترشد العبد إلى إخلاص التوحيد لله تعالى .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- سورة الأساس (١) .

وذلك لاشتغالها على توحيد الله تعالى : الذي هو الأساس في جميع

الأديان .

التاسع والثلاثون : سورة الفلق :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« قل أعوذ برب الفلق » (٢) .

الأربعون : سورة الناس :

وهذا هو الإسم التوقيفي .

وذلك لورود هذا اللفظ فيها ، قال تعالى :

« قل أعوذ برب الناس » (٣) .

ومن أسمائها غير التوقيفية :

- يقال لهما المعوذتان ، بكسر الواو (٤) .

ولعل ذلك لتضمنهما تعليم العباد ما يتعوذون منه بالله تعالى ، ويحتصمون به

سبحانه من شر ما أمروا بالتعوذ منه ، والله أعلم .

١ - انظر : الاتقان ١-١٥٩

٢ - سورة الفلق ١-

٣ - سورة الناس ١-

٤ - انظر : الاتقان ١-١٥٩

ثالثا : تقسيم سور القرآن الى ما يلي :

(أ) الطول (١) .

(ب) المثين .

(ج) المثاني .

(د) المفصل .

واليك تفصيل الكلام في ذلك :

(أ) الطُّول :

بالرجوع إلى أمهات المصادر وجدت العلماء متفقين على أن السور
الطول سبع .

ولقد وجدتهم متفقين على ستة منها وهي : البقرة - آل عمران - النساء -
المائدة - الأنعام - الأعراف .

واختلفوا في تعيين السورة السابعة : فذهب « سعيد بن جبير بن هشام »
ت ٩٥ هـ إلى أن السورة السابعة هي سورة يونس . وذهب غيره إلى أنها

١ - الطول : يضم الطاء المشددة مع فتح الواو : جمع طولى ،
كالكبر جمع وقد روى في الطول كسر الطاء الا انه قليل :
انظر البرهان للزركشى ١-٢٤٤ .

سورة « الأنفال وبراءة » وذلك على اعتبار أنهما سورة واحدة(١) وأرى أن القول الأول هو الراجح ، لأنه يتمشى مع العدد الإجمالي لسور القرآن الكريم وهو ١١٤ سورة .

أما القول الثاني : فبناء عليه يصبح العدد الإجمالي لسور القرآن ١١٣ سورة .

وسبق أن قررت أن هذا القول مرجوح لمخالفته جمهور العلماء .

فإن قيل : ما السبب في هذه التسمية ؟

أقول : لأن هذه السورة تعتبر أطول سور القرآن من حيث العدد الإجمالي لكل منها(٢) .

(ب) المثون :

هي السور التي تلي السبع الطول ، إلى آخر سورة السجدة .

ولعلها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها(٣) .

(ج) المثاني :

هي السور التي تلي المثين ، من أول سورة الأحزاب إلى أول سورة ق ، أو أول سورة الحجرات .

وقد اختلف في سبب هذه التسمية :

١ - انظر : البرهان ١-٢٤٤ ، والاتقان ١-١٧٩ ، وتاريخ

المصحف ١٢٩ .

٢ - من أراد معرفة العدد الاجمالي لكل سورة فعليه الرجوع الى

المصنفات المعينة بذلك مثل : بشير اليسر شرح ناظمة الزهر

لفضيلة الشيخ القاضي .

٣ - انظر : البرهان ١-٢٤٥ .

١ - فقال « الفراء » ت ٢٠٧ هـ (١) .

« هي السور التي آياتها أقل من مائة آية ، لأنها تنفي أكثر مما تنفي الطول
والمثون » أ هـ .

٢ - وقال السيوطي ت ٩١١ هـ :

« لأنها كانت بعد المثين فهي لها ثوان ، والمثون لها أوائل » أ هـ (٢) .
(د) المفصل :

هي السور التي تلي المثاني إلى آخر القرآن الكريم : سورة الناس .
واختلف في أول المفصل على قولين :

١ - قيل : أوله سورة ق ، وقد جنح إلى ذلك الزركشي .

٢ - وقيل أوله سورة الحجرات ، وقد جنح إلى ذلك الإمام النووي
ت ٦٧٦ هـ .

وهذا الخلاف مبني على الخلاف المتقدم في بيان آخر المثاني (٣) .
ثم إن العلماء قسموا « المفصل » ثلاثة أقسام :

١ - الطوال : من أول المفصل إلى أول سورة « عم » .

٢ - الأوساط : من أول سورة « عم » إلى أول سورة « الضحى » .

٣ - القصار : من أول سورة « الضحى » إلى آخر القرآن الكريم (٤) .

١ - انظر : الاتقان ١-١٧٩ .

٢ - انظر : المصدر السابق .

٣ - انظر البرهان ١-٢٤٥ ، والاتقان ١-١٨٠ .

٤ - انظر الاتقان ١-١٨١ ، وتاريخ المصحف - ١٣٠ .

وسمى هذا القسم بالفصل لكثرة الفصول التي بين السور بالبسمة .

رابعاً : تقسيم القرآن الى ما يلي :

(أ) العدد الإجمالي لآيات القرآن .

(ب) معنى الآية .

(ج) فوائد معرفة الآية .

(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية .

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن .

وهذا تفصيل الكلام على هذه الأمور :

(أ) العدد الإجمالي لآيات القرآن :

هذه القضية تكفل بيانها العلماء المشتغلون بعلم « الفواصل » أي علم عد آي القرآن .

وعلماء العدد المشهورون سبعة وهم :

١ - المدني الأول .

٢ - المدني الأخير .

٣ - المكي .

٤ - البصري .

٥ - الدمشقي .

٦ - الحمصي .

٧ - الكوفي .

وإليك تفصيل الكلام على ذلك :

• المدني الأول :

هو ما يرويه نافع ت ١٦٩ هـ .

عن شيخه « أبي جعفر يزيد بن القعقاع ت ١٢٨ هـ ، وشيبة بن نصاح ت ١٣٠ هـ لكن اختلف أهل الكوفة والبصرة في روايته على المدنيين :

فأهل الكوفة رووه عن أهل المدينة بدون تعيين أحد منهم ، وعدد آي القرآن عندهم ٦٢١٧ آية ، ستة آلاف ومائتين وسبع عشرة آية .

وأهل البصرة رووه عن ورش .

عن نافع ، عن شيخه ، وعدد آي القرآن عندهم ٦٢١٤ آية . ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية (١) .

• المدني الأخير :

هو ما يرويه إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح ، بواسطة « سليمان بن جماز (ت ١٧٠) و عدد آي القرآن عنده ٦٢١٤ آية ستة آلاف ومائتين وأربع عشرة آية (٢) .

• العدد المكّي :

هو ما رواه الداني ت ٤٤٤ هـ بسنده إلى « عبد الله بن كثير » ت ١٢٠ هـ

-
- ١ - انظر : بشير اليسر - ١٨ ، ١٩ ونفائس البيان - ٦ .
٢ - انظر : يشير اليسر - ١٨ ، ١٩ ونفائس البيان - ٦ .

عن « مجاهد بن جبر » ت ١٠٤ هـ عن « عبد الله بن عباس » ت ٦٨ هـ رضي الله عنهما عن (أبي بن كعب) ت ٣٠ هـ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدد آي القرآن عنده ٦٢١٠ آية ستة آلاف ومائتين وعشرايات (١).

• العدد البصري :

هو ما يرويه « عطاء بن يسار » ت ١٠٢ هـ « وعاصم الجحدري » ت ١٢٨ هـ وهو ما ينسب بعد إلى « أيوب بن المتوكل » ت ٢٠٠ هـ .

وعدد آي القرآن عنده ٦٢٠٤ آيات ، ستة آلاف ومائتين وأربع آيات (٢) .

• العدد الدمشقي :

هو ما رواه « يحيى الذماوي » عن « عبد الله بن عامر اليحصبي » ت ١١٨ هـ عن « أبي الدرداء » ت ٣٣ هـ رضي الله عنه . وينسب هذا العدد إلى عثمان ابن عفان « ن ٣٥ هـ رضي الله عنه .

وعدد الآي عنده ٦٢٢٧ آية ، ستة آلاف ومائتين وسبع وعشرون آية .

وقيل : ٦٢٢٦ آية ، ستة آلاف ومائتين وست وعشرون آية (٣) .

• العدد الحمصي :

ها ما أضيف إلى « شريح بن يزيد الحمصي الحضرمي » ت ٢٠٣ هـ .

وعدد الآي عنده ٦٢٣٢ آية . ستة آلاف ومائتين واثنان وثلاثون آية (٤) .

-
- ١ - أنظر : بشير اليسر - ٢١ ، ونفائس البيان - ٧ .
 - ٢ - أنظر : بشير اليسر - ٢٠ ، وبشير اليسر - ٧ .
 - ٣ - أنظر : بشير اليسر - ٢٠ ، ونفائس البيان - ٧ .
 - ٤ - أنظر نفائس البيان - ٧ .

• العدد الكوفي :

هو ما يرويه « حمزة بن حبيب الزيات » ت ١٥٦ هـ ، وسفيان بن عيينه »
ت ١٩٨ هـ .

عن « علي بن أبي طالب » ت ٤٠ هـ رضي الله عنه بواسطة الثقات .
وعدد آي القرآن عنده ٦٢٣٦ آية ستة آلاف ومائتين وست وثلاثون آية (١) .

وقد نظم الإمام الشاطبي ت ٥٣٨ هـ ذلك فقال :

ولما رأى الحفاظ أسلافهم عنوا بها دونوها عن أولى الفضل والبر
فمن نافع عن شيبة ويزيد أول المديني إذا كل كوف به يقري
وحمزة مع سفيان قد أستداه عن على عن أشياخ ثقات ذوي خبر
والآخر إسماعيل يرويه عنهما بنقل ابن جماز سليمان ذي النشر
وعد عطاء بن اليسار كعاصم هو الجحدري في كل ما عد للبصري
ويحيى النماري للشامي وغيره وذو العدد المكي أبي بلا نكر (٢)

(ب) معنى الآية :

للآية في اللغة معنيان :

أحدهما : الجماعة ، يقال : جاء القوم بآيتهم أي جماعتهم .
والثاني : العلامة ، ومنه قوله تعالى : « إن آية ملكه » (٣) أي علامة ملكه .

-
- ١ - انظر بشير اليسر - ١٩ ، ونفائس البيان - ٧ .
 - ٢ - انظر : متن ناظمة الزهر - ٥ ، ٦ .
 - ٣ - انظر : بشير اليسر - ٤٢ .

فنقل هذا اللفظ واستعماله إسماً للكلمات القرآنية ، أما أن يكون من
المعنى الأول ، وذلك لاشتمالها على جماعة من الحروف .

أو من المعنى الثاني ، وذلك لكونها أمانة على انقطاع الكلام ، أو على
صدق المخبر .

وكلا المعنيين مناسب للآية القرآنية (١) .

وإلى هذين المعنيين أشار الإمام الشاطبي بقوله :

والآية من معنى الجماعة أو من الـ علامة مبناها على خير ما جدر (٢)

أما معنى الآية اصطلاحاً فهو مبني على الخلاف المتقدم في معناها اللغوي .

١ - فعلى تقدير كونها منقولة من المعنى الجماعة يقال : « هي طائفة
من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقاً ، أو تقديرأ ،
غير مشتملة على مثلها » فقولنا : « طائفة من القرآن » دخل فيه كل جماعة
من حروف القرآن ، وبقولنا : « ذات مبدأ ومقطع » خرجت كلمات من
القرآن ليس لها مبدأ ولا مقطع ، إذ المراد أن تكون ذات مبدأ ومقطع علم
بالتوقيف مبدؤها ، ومقطعها ، وبقولنا : « مستغنية عما قبلها وما بعدها
تحقيقاً » أول آية من القرآن ، وآخر آية منه ، لاستغناء الأولى عما قبلها تقديرأ ،
والثانية عما بعدها كذلك ، وبقولنا : « غير مشتملة على مثلها » خرجت
السورة فإنها يصدق عليها أنها طائفة من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية

١ - أنظر : بشير - ٤٣

٢ - أنظر : متن ناظمة الزهر - ١١ .

عما قبلها وما بعدها ، ولكنها لما كانت مشتملة على آيات خرجت من التعريف(١) .

٢ - وعلى تقديرير أنها مأخوذة من العلامة يقال في تعريفها :

« بأنها حروف من القرآن ذات مبدأ ومقطع علم بالتوقيف من الشارع جعلت دلالة وعلامة على انقطاع الكلام ، أو على صدق المخبر بها ، أو على عجز المتحدى بها » بناء على أن التحدي يجوز بالآية الواحدة(٢) .

وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذين المعنيين بقوله :

فأما حروف في جماعتها غنى وإما حروف في دلالة من يقرى(٣)

(ج) فوائد معروفة الآية :

لمعرفة الآية فوائد جليلة أذكر منها ما يلي :

١ - يحتاج لمعرفة الآية لصحة الصلاة ، فمن لم يكن عارفاً للآية ، لا يمكنه أن يأتي بما يصح صلاته .

٢ - يحتاج إليها للحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات القرآنية .

٣ - كون هذه المعرفة سبباً لنيل الأجر الموعود به على تعلم عدد معين من الآيات القرآنية .

-
- ١ - انظر : بشير اليسر - ٤٢ .
 - ٢ - انظر : بشير اليسر - ٤٣ .
 - ٣ - انظر : متن ناظمة الزهر - ١٢ .

٤ - يحتاج إليها لمعرفة ما تسن قراءته بعد الفاتحة في الصلاة ، فقد قيل : لا تحصل السنة إلا بقراءة ثلاث آيات قصار ، أو آية طويلة ، ومن يرى من الفقهاء وجوب القراءة بعد الفاتحة لا يكفي بأقل من هذا العدد .

٥ - اعتباره لصحة الخطبة ، فقد أوجبوا فيها قراءة آية تامة (١) .

(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية ، بيانها فيما يلي :

● أولاً : مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولاً ، وقصراً .

● ثانياً : مشاكلة الفاصلة لغيرها بما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها أو فيما قبله .

● ثالثاً : الاتفاق على عد نظائرها في القرآن الكريم (٢) .

وقد أشار إلى هذه الأمور الشاطبي بقوله :

وليس رعوس الآي خافية على	ذكي بها بهم في غالب الأمر
وما هن إلا في الطوال طوالها	وفي السور القصرى القصار على قدر
وكل توال في الجميع قياسه	بآخر حرف أو بما قبله قادر
وجاء بحرف المد الأكثر منهما	ولا فرق بين الواو والياء في السير
وها أنا بالتمثيل أرخى زمامه	لعلك تمطوها ذلولاً بلا وعر
كما العالمين الدين بعد الرحيم نستعين	عظيم يؤمنون بلا كدر
سجى والضحى ترضى قأوى وما ولد	كبد والبلد يولد مع الصمد البر (٣)

١ - انظر : نفائس البيان - ٥ ، ٦ .

٢ - انظر : نفائس البيان - ٥ .

٣ - انظر : متن ناظمة الزهر - ٩ ، ١٠ .

(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن :

لقد انعقد اجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن في سورها على النحو الموجود الآن في سائر المصاحف كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن « جبريل » عليه الصلاة والسلام ، عن رب العزة جل جلاله .

وأنه لا مجال للاجتهد والرأي فيه (١) .

وقد استند هذا الاجماع إلى نصوص كثيرة دالة على أن ترتيب آيات القرآن توقيفي إجمالاً وتفصيلاً .

فمن هذه النصوص :

١ - ما أخرجه البخاري ت ٢٥٦ هـ :

عن « عبد الله بن الزبير » ت ٧٣ هـ قال : قلت « لعثمان بن عفان »

ت ٣٥ هـ :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم » الآية (٢) .

نسختها الآية الأخرى (٣) فلم تكتبها أو تدعها (٤) قال يا ابن أخي

لا أغير شيئاً من مكانه » أ هـ (٥) فهذا الحديث صريح في أن إثبات هذه الآية

١ - انظر : الاتقان ١-١٧٢ .

٢ - سورة البقرة - ٢٤٠ .

٣ - وهى قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » - ٢٢٤ .

٤ - هذا شك من الراوى هل قال لك تكتبها ، أو قال لم تدعها أى تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة ، وكان ابن الزبير يظن أن ما نسخ حكمه تنسخ تلاوته .

٥ - انظر : الاتقان ١-١١٢ ، وتاريخ المصنف - ١١٥ ، ١١٦ .

في مكانها من سورتها توقيفي ، لا يستطيع « عثمان » أن يتصرف فيه ، لأنه وجدها مكتوبة في المصحف المنقول مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يغيرها عن مكانها ، لأن هذا أمر لا مجال للرأي والاجتهاد فيه .

٢ - ومنها ما رواه مسلم ت ٢٦١ هـ :

عن « عمر بن الخطاب » ت ٢٣ هـ رضي الله عنه قال : « ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن « الكلاله (١) حتى طعن بإصبعه في صدري وقال : تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » أ (٢) هـ .

فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة ومعلومة الترتيب في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معلوماً ما هو مقدم منها وما هو مؤخر .

ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام « لعمر » تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء « فدل على موضع هذه الآية من سورتها ، وهي قوله تعالى :

« يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله » (٣) .
إلى آخر السورة .

وإنما سميت هذه الآية آية الصيف لأن نزولها كان في الصيف في سفر حجة الوداع .

٣ - ومنها ما رواه مسلم ت ٢٦١ هـ :

-
- ١ - الكلاله : هي من مات وليس له ولد ولا والد : انظر : تفسير الجلالين - ٨٧ .
٢ - انظر : الاتقان ١-١٧٢ ، وتاريخ المصحف - ١١٦ .
٣ - سورة النساء - ١٧٦ .

عن « أبي الدرداء » ت ٣٣ هـ مرفوعاً : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال « أ هـ .

وفي لفظ آخر « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف » (١) .

٤ - ومنها ما رواه البخاري ت ٢٥٦ هـ :

عن عبد الله بن مسعود ت ٣٢ هـ رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » أ هـ (٢) .

فالحديث صريح في أن تعيين موضعهما كان بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ - ومنها ما ثبت في السنن الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاته بالسور المتعددة فمن ذلك :

(أ) ما ورد في البخاري ت ٢٥٦ من قراءته عليه الصلاة والسلام سورة الأعراف في صلاة المغرب .

(ب) وروى النسائي ٣٠٣ هـ أنه قرأ سورة « قد أفلح المؤمنون » في صلاة الصبح .

(ج) وفي مسلم قرأ سورة « الجمعة » و سورة « المنافقون » في صلاة الجمعة .

(د) وروى مسلم أيضاً أنه قرأ سورة « ق » في الخطبة (٣) إلى غير

-
- ١ - أنظر الاتقان ١-١٧٢ ، وتاريخ المصحف - ١١٧ .
 - ٢ - أنظر : تاريخ المصحف - ١١٦ .
 - ٣ - أنظر : تاريخ المصحف - ١١٧ .

ذلك وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ هذه السور وغيرها من باقي سور القرآن مرتبة الآيات بمشهد من الصحابة ، وقد تلقوا عنه ترتيب الآيات في سورها . وما كان الصحابة ليرتبوا آيات القرآن ترتيباً مخالفاً لترتيب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أحرص الناس على اتباع النبي عليه الصلاة والسلام . ومن أقوال العلماء الدالة على أن ترتيب آيات القرآن كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي :

١ - قال « القاضي أبو بكر الباقلاني » ت ٤٠٣ هـ :

« ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول :
« ضعوا آية كذا في موضع كذا » أ هـ .

٢ - وقال أيضاً : « الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو الذي بين اللفظين الذي حواه مصحف « عثمان » وأنه لم ينقص منه شيء ، ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ، ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه من آي السور ، لم يقدم ، من ذلك مؤخر ، ولا أخر منه مقدم ، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة ومواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءة ، وذات التلاوة » أ هـ (١) .

٣ - وقال ابن الحصار .. ت ٦١١ هـ (٢) .

-
- ١ - انظر : الاتقان : ١٧٥/١ ، تاريخ المصحف ١١٨ ، ١١٩ .
٢ - هو على بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن موسى الخزرجي ، أبو الحسن الحصار الاسيبي ، من خيرة العلماء جاور بكة ، وبمصر ، له عدة مؤلفات في أصول الفقه والناسخ والمنسوخ ، والبيان في تنقيح البرهان . توفي بالمدينة المنورة عام ٦١١ هـ :
انظر : الاعلام /١

« ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » أ هـ (١) .

٤ - وقال البغوي ٥١٠ هـ (٢) :

« إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله ، من غير أن زادوا ، أو نقصوا منه شيئاً ، خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدموا شيئاً ، أو أخرروا ، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يلقي أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله تعالى جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرقاً عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة (٣) أ هـ .

١ - انظر الاتقان /١

٢ - هو : الحسين بن مسعود بن محمد ، الملقب بحمى السنة ، أبو محمد البغوي ، عالم بالتفسير ، والحديث ، والفقه ، له عدة مصنفات ، منها : معالم التنزيل في التفسير ، والتهذيب في الفقه ، وشرح السنة في الحديث ت ٥١٠ هـ : انظر : وقفيات الأعيان ١/١٨٢ ، وطبقات السبكي ٢١٤/٤ .

٣ - انظر : الاتقان ١-١٧٥ ، وتاريخ المصحف ١١٨ .

تعقيب :

لقد ثبت من هذه النصوص المتعددة ، وغيرها أن ترتيب آي كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف تلقاه الصحابة رضي الله عنهم ، عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل ، عن الله تعالى : من هذا يكون ترتيب الآيات حسبما هي عليه الآن توقيفاً لا مجال للنظر فيه ، ولا محل للرأى والاجتهاد .

ويؤخذ من هذه النصوص أيضاً أنه كما يجب ترتيب الآيات في التلاوة ، يجب ترتيبها في الكتابة ، وهذا الأمر مجمع عليه أيضاً . والله أعلم .

● فإن قيل : هل ترتيب الآيات كما هي موجودة الآن في المصاحف ، هو بعينه ترتيب النزول ؟

أو هذا ترتيب وذلك ترتيب آخر ؟

● أقول : إن ترتيب الآيات كما هي عليه الآن مغاير لترتيب النزول .

والدليل على ذلك أن الله تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا ، ثم أنزله على نبيه « محمد » صلى الله عليه وسلم مفزقاً في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية تنزل جواباً لمستخبر . كل ذلك على حسب المصالح .

ومما لا شك فيه أن نزول الآيات كان مغايراً للكيفية التي هي عليها الآن . ومن شواهد ذلك ما يلي :

أولاً : في القرآن الكريم آيات مدنية نزلت بعد الهجرة ، إلا أنها أثبتت وكتبت في سور مكية نزلت قبل الهجرة .

مثال ذلك :

١ - قوله تعالى في سورة الأنعام :

« قل تعالوا أتئل ما حرم ربكم عليكم » (١) .

إلى آخر الآيات الثلاث ، فإن هذه الآيات قد صح النقل بأنها مدنية بعد الهجرة وقد ألحقت بسورة الأنعام وهي مكية .

٢ - قوله تعالى في سورة النحل :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » (٢) .

الآيات الثلاث إلى آخر السورة ، فإن هذه الآيات نزلت بعد الهجرة ، وقد ألحقت بسورة النحل وهي مكية نزلت قبل الهجرة .

ثانياً : هناك آيات مكية نزلت قبل الهجرة ، ولكنها ألحقت بسورة مدنية نزلت بعد الهجرة .

مثال ذلك :

١ - قوله تعالى في سور الأنفال :

« يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٣) .

فقد ورد عن « عبد الله بن عباس » ت ٦٨ هـ رضي الله عنه أنها نزلت عقب إسلام « عمر بن الخطاب » ت ٢٣ هـ رضي الله عنه . ومعلوم إن إسلام

-
- ١ - سورة الأنعام - ١٥١ .
 - ٢ - سورة النحل - ١٢٦ .
 - ٣ - سورة الأنفال - ٦٤ .

« عمر » كان بمكة بعد البعثة النبوية بقليل ، ومع كون هذه الآية مكية فقد ألحقت بسورة الأنفال وهي مدنية .

٢ - قوله تعالى في سورة البقرة : « ليس عليك هدام » (١) إلى آخرها ، فهذه الآية نزلت قبل الهجرة وهي مكية ، إلا أنها ألحقت بسورة البقرة وهي مدنية .

ومن شواهد ذلك أيضاً :

أن بعض الآيات يكون ناسخاً للبعض الآخر ، ومما لا شك فيه أن المنسوخ يكون متقدماً في النزول على الناسخ ، إلا إنا نجد الناسخ مثبتاً في المصحف ومتقدماً على المنسوخ .

مثال ذلك :

١ - قوله تعالى في سورة البقرة :

« والذين يتوفون منكم ويلدرون أزواجاً يربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » الآية (٧) .

فإن هذه الآية ناسخة للحكم الذي تضمنته آية أخرى في سورة البقرة أيضاً وهي قوله تعالى :

« والذين يتوفون منكم ويلدرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » الآية (٣) .

من هذا يتبين أن ترتيب التلاوة والكتابة مغاير لترتيب النزول .

-
- ١ - سورة البقرة - ٢٧٢ .
 - ٢ - سورة البقرة - ٢٣٤ .
 - ٣ - سورة البقرة - ٢٤٠ .

(و) عدد كلمات القرآن :

لقد اختلف العلماء في العدد الإجمالي لكلمات القرآن الكريم .

١ - فقال بعضهم : « هو سبعة وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة .

٢ - وقال بعضهم : هو سبعة وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة .

٣ - وقال البعض الآخر : هو سبعة وسبعون ألف كلمة ، ومائتان وسبع وسبعون كلمة (١) .

فإن قيل : ما سبب هذا الاختلاف ؟

أقول : لعل السبب في ذلك أن بعضهم اعتبر أمثال قوله تعالى : « في السماء » كلمة واحدة ، وبعضهم اعتبرها كلمتين .

الفصل الثالث

كتابة القرآن الكريم

وسأتحدث في هذا الفصل إن شاء الله تعالى عن القضايا الآتية :

أولاً : كتابة القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم :

ويشتمل ذلك على ما يلي :

(أ) كتابة الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام .

(ب) وسائل الكتابة في العهد النبوي .

(ج) هل كان القرآن مجتمعاً في مصحف واحد ؟

(د) لماذا لم يكتب القرآن في مصحف واحد ؟

ثانياً : جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه :

ويشتمل على ما يأتي :

(أ) الأسباب التي جعلت « أبا بكر » يأمر بجمع القرآن .

(ب) لماذا اختار « أبو بكر » « زيداً » لجمع القرآن ؟

(ج) طريقة زيد في جمع القرآن ، وبيان المصادر التي اعتمد عليها

في ذلك .

(د) هل يعتبر هذا الأمر أمراً مستحدثاً ؟

(هـ) ما هو موقف الصحابة من صنع أبي بكر ؟

(و) أين وضعت الصحف التي جمعها « زيد » ؟

ثالثاً : كتابة القرآن في عهد « عثمان بن عفان » رضي الله عنه :

ويشتمل ذلك على ما يلي :

- (أ) الأسباب التي جعلت « عثمان » رضي الله عنه يأمر بكتابة المصاحف .
- (ب) الصحابة الذين اختارهم « عثمان » لكتابة المصاحف .
- (ج) قانون « عثمان » في كتابة المصاحف .
- (د) عدد المصاحف التي نسخها الصحابة ، والأمصار التي أرسلت إليها هذه المصاحف .

(هـ) كيف تم ارسال المصاحف العثمانية إلى الأمصار ؟

(و) موقف الصحابة من صنع « عثمان » .

(ز) الفرق بين الأحوال الثلاثة التي مرت بها كتابة القرآن .

(ح) هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة ؟

وإليك تفصيل الكلام على جميع هذه الفقرات حسب ترتيبها :

أولاً : كتابة القرآن في العهد النبوي الشريف وما يتصل بذلك :

لقد اعتاد الكثيرون من العلماء قديماً وحديثاً أن يعنونوا لهذا المبحث

بقولهم : « جمع القرآن » ثم بعد ذلك يقولون :

يطلق الجمع ويراد به أحد معنيين :

● المعنى الأول : جمعه بمعنى حفظه ، وجماع القرآن : حفظه .

● المعنى الثاني : جمع القرآن بمعنى كتابته .

وقد تحقق كلا المعنيين في عهده صلى الله عليه وسلم .

ولما كان المقصود في هذا المقام هو « كتابة القرآن » فقد آثرت أن أعنون

به ، مخالفاً في ذلك الكثيرين من الكتاب .

ومما هو ثابت أن القرآن كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيحفظه ،
ويبلغه للناس ويأمر كتاب الوحي بكتابته ، ويدلهم على موضع المكتوب
من سوره فيقول لهم :

ضعوا هذه السورة بجانب تلك السورة ، وضعوا هذه الآية بإزاء تلك
الآية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعارض جبريل بالقرآن مرة في شهر
رمضان من كل عام .

فلما كان العام الذي قبض فيه عليه الصلاة والسلام عارضه به مرتين .
ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن
كله كان مكتوباً في العصر النبوي .

بعد هذه الأسئلة والخلاصة أجد عدة أسئلة تطرح نفسها وتتطلب
الإجابة عليها .

وإليك هذه الأسئلة التي ستشمل جوانب هذه القضية :

(أ) فإن قيل :

نريد بيان الصحابة الذين اشتهروا بكتابة القرآن بين يدي الرسول
عليه الصلاة والسلام .

أقول :

لقد اشتهر بكتابة القرآن بين يديه صلى الله عليه وسلم الصحابة الآتية
أسمائهم :

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه ت ١٣ هـ .

٢ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه ت ٢٣ هـ .

٣ - عثمان بن عفان رضي الله عنه ت ٢٥ هـ .

- ٤ - علي بن أبي طالب رضي الله عنه ت ٤٠ هـ .
- ٥ - زيد بن ثابت رضي الله عنه ت ٤٥ هـ .
- ٦ - أبي بن كعب رضي الله عنه ت ٣٠ هـ .
- ٧ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ت ٦٠ هـ .
- ٨ - خالد بن الوليد رضي الله عنه ت ٢١ هـ .
- ٩ - أبان بن سعيد رضي الله عنه ت ١٣ هـ .
- ١٠ - ثابت بن قيس رضي الله عنه ت ١٢ هـ .

(ب) فإن قيل :

وما الوسائل التي كانوا يكتبون عليها في هذا العهد المبكر ؟

أقول :

مما هو ثابت تاريخياً أن صناعة الورق لم تبدأ في الظهور إلا في عهد قريب . لذلك فقد كان الكتاب في العصور المتقدمة وقبل ظهور الورق يختلفون في الوسائل التي يسجلون عليها أفكارهم ، وتاريخهم ، الخ . فمنهم من كان يستخدم في ذلك الأحجار فينقش عليها كل ما يريد ، وهذا ما تم اكتشافه في كثير من الآثار القديمة منذ آلاف السنين . ومنهم من كان يستخدم الجلود ، أو غيرها لهذا الهدف النبيل . أما كتاب القرآن الكريم فإن التاريخ يحدثننا أنهم كانوا يكتبون القرآن على الوسائل الآتية :

- ١ - العسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، فكانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض منه .

٢ - اللخاف : جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء ، وهي الحجارة الرقاق .

٣ - الرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو غيره .

٤ - الكرانيف : جمع كرنافة ، وهي أصول السعف الغلاظ .

٥ - الأكتاف : جمع كتف ، وهو عظم عريض في كتف الحيوان ، كانوا يكتبون عليه بعد أن يجف .

٦ - الأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

٧ - الأضلاع : جمع ضلع ، وهو عظم الجنين .

(ج) فإن قيل :

هل كان القرآن كله مجتمعاً في مصحف واحد ؟

أقول :

إن التاريخ يحدّثنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله كان مكتوباً ، غير أنه لم يكن مجتمعاً في مصحف واحد ، ولا موجوداً في مكان واحد .

بل كان مفرقاً لدى الصحابة عليهم رضوان الله . وكان الصحابة يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة .

(د) فإن قيل :

لماذا لم يكتب القرآن كله في مصحف واحد ؟

أقول :

لم يأمر النبي عليه الصلاة والسلام بجمع القرآن في مصحف واحد
لأحد أمرين :

● الأمر الأول :

إن اهتمام الصحابة إنما كان بحفظه واستظهاره عن ظهر قلب .
وقد حفظ القرآن الكريم كله عدد من الصحابة تعرضت لذكرهم
بالتفصيل في الفصل الثالث من الباب الثاني ، أثناء الحديث عن مدرسة النبي
صلى الله عليه وسلم .

● الأمر الثاني :

ما كان يترقبه الرسول عليه الصلاة والسلام من ورود زيادة أو ناسخ
لبعض آياته . ولأن كتابته في مصحف واحد والحالة هكذا ، كان سيقضي
بلا شك إلى تغيير في كل وقت .

ولهذا تأخرت كتابته وجمعه في مكان واحد إلى أن تم نزوله ، ولم يعرف
ذلك إلا بوفاة عليه الصلاة والسلام .

وبهذا يفسر ما روى عن زيد بن ثابت ت ٤٥ أنه قال :

« قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء » .

أي لم يكن جمع مرتب الآيات والسور في مصحف واحد .

وفي هذا المعنى يقول الخطابي ت ٣٨٨ هـ :

« إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف ، لما كان يترقبه
من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاة

عليه الصلاة والسلام ، أهدى الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعد الصادق
بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة
عمر « أ ه (١) .

ثانيا : جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه ،
ويشتمل على ما يأتي :

(أ) فإن قيل :

ما الأسباب التي جعلت « أبا بكر » يأمر بجمع القرآن الكريم ؟

أقول :

مما هو معلوم لدى الجميع أن « أبا بكر » رضي الله عنه قام بأمر الإسلام
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد واجهته أحداث خطيرة ، أجلها وأعظمها ارتداد ضعاف المسلمين
عن الإسلام ، وامتناع بعض القبائل العربية عن دفع الزكاة له .

أمام هذه الأمور العظيمة لم يكن أمام « أبي بكر » سوى محاربة المرتدين .

فجهز الجيوش وأوقفها لمحاربة هؤلاء المرتدين حتى يعودوا إلى

حظيرة الإسلام .

وكانت غزوة « أهل اليمامة » سنة اثنتي عشرة للهجرة تضم عدداً كبيراً

من حفاظ القرآن الكريم .

ويحدثنا التاريخ أنه استشهد من حفاظ القرآن في هذه الغزوة نحو سبعين

فلما بلغ « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ذلك الخبر هانه الأمر ،

وفزع لذلك فزعاً شديداً ، فدخل على « أبي بكر » وأخبره الخبر ، وبين له ما يخشاه من ضياع القرآن إذا كثُر القتل في قراء القرآن .

واقترح على « أبي بكر » أن يعمل على جمع « القرآن » فردد « أبو بكر » أولاً ، لأنه خشى أن يكون ذلك الصنيع أمراً مستحدثاً .

وبعد نقاش طويل بينهما اقتنع « أبو بكر » بوجهة نظر « عمر » واقنع بصواب رأيه وتبجلى له وجه المصلحة العامة في ذلك .

فأرسل « أبو بكر » إلى زيد بن ثابت « يدعوه إلى جمع القرآن في مكان واحد . وقد تم اختيار « أبي بكر » « لزيد » بعد استشارة « عمر بن الخطاب » في ذلك .

فلما حضر « زيد » عرض عليه « أبو بكر » فكرة جمع القرآن ، وطلب منه أن يقوم هو بتنفيذها ويتولاها بنفسه .

لأن « زيدا » تردد في بداية الأمر ، وخشى أن يكون ذلك أمراً مستحدثاً . ولكن بعد نقاش بين كل من « أبي بكر » و« عمر » من جانب « زيد » من جانب آخر ، اقتنع « بفكرة جمع القرآن وأدرك صحتها وصوابها . ثم شرع في تنفيذها حتى أتمها على أكمل وجه .

وفي هذا المعنى يروي البخاري ت ٢٥٦ هـ .

عن « زيد بن ثابت » ت ٤٥ هـ .

فيقول : قال « زيد بن ثابت » :

أرسل إلى « أبو بكر » مقتل أهل اليمامة ، فإذا « عمر بن الخطاب » عنده فقال « أبو بكر » :

إن « عمر » أتاني فقال : إن القتل قد استحر (١) بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .

فقلت لعمر :

كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال « عمر » :

هو والله خير .

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى « عمر » قال « زيد » : قال « أبو بكر » :

إنك شاب عاقل ، لا تهملك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتبع القرآن فاجمعه .

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمروني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : « هو والله خير » فلم يزل « أبو بكر » يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر « أبي بكر - وعمر » .

فتبعت القرآن أجمعه من :

العسب ، واللخاف ، وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة

١ - استحر : أى اشتد .

مع « أبي خزيمة الأنصاري » لم أجد لها مع غيره : « لقد جاءكم رسول » (١) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند « أبي بكر » حتى توفاه الله ، ثم عند « عمر » حياته ، ثم عند « حفصة بنت عمر » أ هـ (٢) .

(ب) فإن قيل :

لماذا اختار « أبو بكر » « زيد بن ثابت » لجمع القرآن ؟

أقول :

من يقف على سيرة « زيد » العطرة يمكنه أن يعرف بسهولة الجواب على هذا السؤال .

فهو : زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري ، خارجة الخزرجي . كان شاباً ذكياً تعلم السريانية في تسعة عشر يوماً ، وحفظ القرآن كله عن ظهر قلب في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً بالصدق والعفة ، والأمانة . وتعلم ، وتفقه في الدين ، حتى أصبح رأساً بالمدينة في القضاء ، و الفتوى ، والقراءة ، والفرائض .

قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

« أفرض أمتي زيد بن ثابت » ت ٤٥ هـ (٣) .

-
- ١ - سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتاريخ المصحف ٤٧ ، ٤٨ ، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ١٢٦ .
 - ٢ - انظر : الاتقان ١-١٦٤ ، ١٦٥ .
 - ٣ - انظر تذكرة الحفاظ ١-٢٩ ، والاصابة ١-٥٦١ ، وغاية النهاية ١-٢٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٣-٣٩٩ .

(ج) فإن قيل :

نريد معرفة طريقة « زيد » في جمع القرآن مع بيان المصادر التي اعتمد عليها في ذلك .

أقول :

لما شرع « زيد بن ثابت » رضي الله عنه في جمع القرآن الكريم في عهد « أبي بكر » رضي الله عنه ، اعتمد في ذلك على مصدرين :

المصدر الأول :

ما كان محفوظاً في صدور الرجال ، علماً بأنه كان من حفاظه .

المصدر الثاني :

ما كان مكتوباً في عهد النبي عليه الصلاة والسلام .

وكان يستوثق من ذلك المكتوب غاية التوثيق ، حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأنه مما ثبت في العرضة الأخيرة .

وأنه لم تنسخ تلاوته .

ولذلك لم يكن يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول عليه الصلاة والسلام .

يرشد إلى ذلك ما يلي :

١ - أخرج ابن أبي داود ت ٣١٦ هـ (١) من طريق « يحيى بن عبدالرحمن ابن حاطب » قال : قدم « عمر » فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف ، والألواح ، والعصب .

فكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يُشهد شاهدان ، وهذا يدل على أن « زيداً » كان لا يكتفي بمجرد وجوده مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون « زيد » كان يحفظه .

فكان يفعل ذلك مبالغة في « الاحتياط » أ هـ (٢) .

٢ - وأخرج ابن أبي داود أيضاً ، من طريق « هشام بن عروة » ت ١٤٦ هـ (٣) عن أبيه « أن « أبا بكر » قال « لعمر » و « زيد » : أعددنا على باب المسجد ، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتبه » أ هـ (٤) . قال « ابن حجر » ت ٨٥٢ هـ .

معتباً على هذا الخبر : « وكأن المراد بالشاهدين الحفظ ، والكتابة » (٥) .

-
- ١ - هو : عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن اسحاق ، الأزدي السجستاني ، أبو بكر بن أبي داود ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، له عدة مصنفات ت ٣١٦ هـ . انظر : تاريخ بغداد ٩-٤٦٤ ، ولسان الميزان ٣-٢٩٢ ، وغاية النهاية ١-٤٢٤ .
 - ٢ - انظر الاتقان ١-١٦٦ ، ومباحث القرآن ١٢٧- ، وتاريخ المصحف ٤٩ .
 - ٣ - هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو المنذر ، من التابعين ، ومن كبار العلماء وأئمة الحديث ت ١٤٦ هـ : انظر : وفيات الأعيان ٢-٢٥٧ ، وتذكرة الحفاظ ١-١٣٩ .
 - ٤ - انظر : الاتقان ١-١٦٧ ، ومباحث في علوم القرآن ١٢٧ .
 - ٥ - انظر المصدرين السابقين .

وقال السخاوي ت ٦٤٣ هـ (١) :

« المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أو المراد أنهما يشهدان على أن تلك من الوجوه التي نزل بها القرآن » أ هـ (٢) .

وقال « أبو شامة » ت ٦٦٥ هـ (٣) :

« وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ ولذلك قال « زيد » في آخر سورة التوبة « لم أجدتها مع غيره » .

أي لم أجدتها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة » أ هـ (٤) .

وقال السيوطي ت ٩١١ هـ :

« أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته » أ هـ (٥) .

-
- ١ - هو : على بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي ، أبو الحسن عالم بالقراءات واللغة ، والتفسير والفقه ت ٦٤٣ هـ : انظر : أنباء الرواة ٢-٣١١ ، وطبقات السبكي ١٢٦-٥ .
 - ٢ - انظر : الاتقان ١-١٦٧ ، ومباحث في علوم القرآن للمشيخ مناع القطان ١٢٧-٥ .
 - ٣ - هو : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي ، المؤرخ الحدّث له عدة مؤلفات منها : المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، وشرح الشاطبية في القراءات توفى سنة ٦٦٥ هـ ، انظر : الأعلام ٤-٧٠ .
 - ٤ - انظر : الاتقان ١-١٦٧ .
 - ٥ - انظر : المصدر السابق .

(د) فإن قيل :

هل يعتبر جمع القرآن في عهد أبي بكر أمراً مستحدثاً ؟

أقول :

من يمعن النظر في هذا الأمر لا يستطيع الحكم عليه بأنه من البدع المستحدثة ولا من الأمور التي ليس لها أصل من عمل الرسول عليه الصلاة والسلام . بل يحكم عليه بأنه مستمد من القواعد التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بتشريع كتابة القرآن ، واتخاذ كتاب يكتبون له الوحي المنزل .

وفي هذا يقول الحارث المحاسبي ت ٢٤٣ هـ (١) :

« كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه ، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف ، والعصب ، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء » أ هـ (٢) .

(هـ) فإن قيل :

ما هو موقف الصحابة من صنع أبي بكر ؟

أقول :

لقد كان الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم مؤيدين ، وموافقين لصنيع أبي بكر هذا .

١ - هو : الحارث بن اسد المحاسبي من خيرة العلماء وله عدة

مصنفات ت ٢٤٣ هـ : انظر : وفيات الاعيان ١/١٢٦

٢ - انظر: الاقتان ١/١٦٨ وتاريخ المصحف ٥٠

والدليل على ذلك ما يلي :

أولاً : لم يحدثنا التاريخ أن أحداً من الصحابة كان غير موافق لهذا الصنيع .
ثانياً : كان كل صحابي عنده شيء من القرآن يليب الفكره ويأتي بما كان مكتوباً عنده ويقدمه إلى « زيد بن ثابت » بنفس طيبة مطمئنة .

ثالثاً : لقد كان « عمر بن الخطاب » صاحب الفكره و « زيد بن ثابت » هو المنفذ لها وهما صحابيان جليلان لهما وزنهما ووضعهما الاجتماعي والقيادي بين الصحابة رضوان الله عليهم .

رابعاً : أخرج « ابن أبي داود » ت ٣١٦ هـ :

عن « علي بن أبي طالب » ت ٤٠ هـ .

قوله : « أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر . رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله » أ هـ (١) .

(و) فإن قيل :

أين وضعت الصحف التي جمعها « زيد » وكيف كان مصيرها ؟

أقول :

لقد ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن في رعاية الخليفة الأول « أبي بكر الصديق » مدة خلافته .

ثم انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثاني « عمر بن الخطاب » مدة خلافته .

١ - انظر : الانتقان ١-١٦٥ ، وتاريخ المصحف ٥٠ ، ومباحث في علوم القرآن ١٢٨ .

ثم عند « حفصة » بنت « عمر » وأم المؤمنين بعد وفاة أبيها عليه رضوان الله تعالى .

وبقيت عندها إلى أن ولي « مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية » ت ٦٥ هـ . « المدينة المنورة » فطلبها منها فأبت ، فلما توفيت عليها رضوان الله عام ٤٥ هـ حضر « مروان » جنازتها ، ثم طلب « الصحف » من أخيها « عبد الله بن عمر » فبعث بها إليه ، ثم أمر « مروان » بإحراقها .
وقال : إنما فعلت هذا لأنني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب .

علماً بأنها لم تحرق إلا بعد أن كتبت المصاحف في عهد « عثمان بن عفان » وكانت هذه الصحف المرجع الأصيل الذي اعتمد عليه « زيد » في كتابة المصاحف (١) .

ثالثاً : كتابة القرآن في عهد « عثمان » رضي الله عنه :

ويتصل بذلك ما يلي :

- (أ) الأسباب التي جعلت « عثمان » يأمر بكتابة المصاحف .
- اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وتفرقت القراء في الأمصار .
- وأخذ أهل كل مصر القراءة عن وفد لإيهم من الصحابة .
- ١ - فأهل الشام يقرءون بقراءة « أبي بن كعب » ت ٢٠ هـ .
- ٢ - وأهل الكوفة يقرءون بقراءة « عبد الله بن مسعود » ت ٣٢ هـ .

٣ - وغيرهم يقرعون بقراءة «أبي موسى الأشعري» ت ٤٤ هـ وهكذا .
ومما هو معروف أن وجوه القراءة التي كانوا يقرعون بها كانت مختلفة
وفقاً للأحرف التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم .

فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الفتح عجب البعض من
وجود هذا الاختلاف . وقد يقنع بأنها جميعاً مسندة إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

ولكن هذا كان لا يحول دون تسرب التساؤل بين المسلمين ، وبخاصة
بين الذين لم يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، القراءات القرآنية ،
فيدور الكلام حول فصيح هذه القراءات وأفصحها .

كما كان بعض القراء يفخر على البعض الآخر ويقول قراءتي أفصح
من قراءتك ، ويرد عليه الفريق الآخر بالمثل .

وهكذا كان يؤدي ذلك إلى اللجاج ، وتأنيب بعضهم بعضاً ، وإنكار
بعضهم على بعض .

وفي سنة خمس وعشرين من الهجرة اجتمع أهل الشام ، وأهل العراق
في غزوة : «أرمينية» و «أذربيجان» .

وكان فيمن غزاهما «حذيفة بن اليمان» ت ٣٦ هـ فرأى اختلافاً كثيراً
بين المسلمين في وجوه القراءة ، وسمع ما كانت تنطق به ألسنتهم من كلمات
التجريح والتأنيب ، فاستعظم ذلك «حذيفة» ففرع إلى «عثمان» رضي الله
عنه ، وأخبره بما رأى ، وقال له : أدرك الناس قبل أن يختلفوا في كتابهم
الذي هو أصل الشريعة ، ودعامة الدين ، كما اختلف اليهود والنصارى .

فأدرك «عثمان» بثاقب نظره ، وحصافة رأيه أن هذه الفتنة إن لم تعالج

بالحكمة والحزم ستجر - لا محالة إلى أسوأ العواقب ، ففكر في علاجها
علاجها قبل أن يستفحل خطرها ، ويتفاقم شرها .

فجمع أعلام الصحابة ، وذوي الرأي منهم ، وأخذوا يبحثون عن
علاج لهذه الفتنة .

فأجمعوا رأيهم على أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها « زيد بن ثابت »
عهد « أبي بكر الصديق » . في مصاحف متعددة ، ثم يرسل إلى كل
مصر مصحف منها يكون مرجعاً للناس عند الاختلاف ، موثلاً عند
التنازع ، وعلى إحراق كل ما عدا هذه المصاحف ، وبذلك يستأصل دابر
الخلافة وتجتمع الكلمة ، وتوحد الصفوف .

(ب) فإن قيل :

نريد أن نعرف الصحابة الذين انتدبهم « عثمان » للقيام بمهمة كتابة
المصاحف .

أقول :

لقد انتدب « عثمان » رضي الله عنه للقيام بهذه المهمة الخطيرة أربعة
من خيرة الصحابة ، ومن حفاظ القرآن وهم :

١ - زيد بن ثابت ت ٤٥ هـ رضي الله عنه ، وهو من الأنصار ،
ومن كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قام بمهمة جمع
القرآن لأول مرة زمن خلافة « أبي بكر الصديق » .

٢ - عبد الله بن الزبير ت ٧٣ هـ .

- ٣ - سعيد بن العاص ت ٥٨ هـ .
- ٤ - عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ت ٤٣ هـ .
وهؤلاء الثلاثة قرشيون (١) .
- وهذا هو الرأي الراجح الذي عليه الجمهور (٢) .
- (ح) قانون « عثمان » والصحابة في كتابة المصاحف :
لقد اتبع كل من « عثمان بن عفان » رضي الله عنه .
والصحابة المكلفون بنسخ المصاحف الأمور الآتية أثناء كتابة المصاحف :
— أولاً : اعتبار الصحف التي جمعها « زيد بن ثابت » في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه المصدر الأساسي في هذه المهمة الخطيرة .
فقد أرسل « عثمان » إلى « حفصة » بنت « عمر » أم المؤمنين رضي الله عنها وقال لها :
أرسلني إلينا بالصحف التي عندك لتنسخها ثم نردها إليك .
فما كان من « حفصة » إلا أن استجابت لذلك وأرسلت بالصحف إليهم .
— ثانياً : قال « عثمان بن عفان » للصحابة القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم « وزيد بن ثابت » في شيء من القرآن (٣) ، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم .

-
- ١ - انظر : مباحث في علوم القرآن للمشيخ مناع القطان ١٢٩ وتاريخ المصحف ٥٢ .
- ٢ - وقيل : أن الصحابة الذين انتدبوا لهذه المهمة اثنا عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار ، منهم « أبي بن كعب » ت ٣٠ هـ رضي الله عنه .
- ٣ - أي في كيفية كتابته

ولم يحدثنا التاريخ أنهم اختلفوا في شيء إلا في كلمة « التابوت » من قوله تعالى :

« إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت » الآية (١) .

فقال « زيد » تكتب بالهاء هكذا « التابوه » وقال القرشيون الثلاثة : تكتب بتاء هكذا « التابوت » .

فرفعوا الأمر إلى « عثمان » فأمرهم أن يكتبوها بالتاء المفتوحة ، وفقاً للغة قريش .

— ثالثاً : كان الكتاب لا يكتبون في المصاحف شيئاً إلا بعد أن يعرضوه على مشاهير الصحابة ، ويشهد الجميع بأنه قرآن ، وأنه لم تنسخ تلاوته ، وأنه استقر في العرصة الأخيرة .

من هذا يتبين أنهم لم يكتبوا ما نسخت تلاوته وهو ما لم يثبت في العرصة الأخيرة .

كما لم يكتبوا ما كانت روايته آحاداً .

وقد أتم الصحابة نسخ المصاحف بإشراف « عثمان » وأعلام الصحابة من المهاجرين ، والأنصار ، وقد كتبوا مصاحف متعددة (٢) وكانت هذه المصاحف متفاوتة في الحذف ، والإثبات والزيادة ، والنقص ، وغير ذلك . والهدف من ذلك أنها جعلت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ، وكانت خالية من النقط والشكل ، لأن كلا منهما لم يكن قد استحدث بعد ، وهذا مما كان يساعد على تحقيق هذا الهدف .

١ - سورة البقرة ٢٤٨ .

٢ - سابين عدد المصاحف التي تم نسخها فيما بعد .

فالكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة ، وخلوها من النقط والشكل يجعلها محتملة لما اشتملت عليه من قراءات ، كتبها برسم واحد في جميع المصاحف .

وذلك نحو : يعلمون بالياء - والتاء .

ويقول - بالياء - والنون - فتيينوا - فثبتوا ، ننشرها - ونشرها .. الخ .

أما الكلمات التي ورد فيها أكثر من قراءة وتجريدها من النقط والشكل لا يجعلها محتملة لما ورد فيها من القراءات فلم يكتبوها برسم واحد في جميع المصاحف .

وإنما كتبوها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى ، مثال ذلك :

١ - قوله تعالى : « ووصى بها إبراهيم » (١) كتب في بعض المصاحف « ووصى » باواوين من غير ألف بينهما .

وفي البعض الآخر « وأوصى » بإثبات ألف بين الواوين .

٢ - قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة » (٢) كتب في بعض المصاحف « وسارعوا » بإثبات الواو قبل السين .

وفي البعض الآخر بدون الواو .

٣ - وقوله تعالى : « فإن الله هو الغني الحميد » (٣) كتب في بعض المصاحف « هو الغني » بإثبات لفظ هو .

٢ - سورة البقرة ١٣٢

١ - سورة آل عمران ١٣٣

٢ - سورة الحديد ٢٤

وفي البعض الآخر بحذف لفظ هو .

وهكذا في باقي الكلمات الماثلة لذلك (١) .

ولما أتم الصحابة نسخ المصاحف وفقاً لما سبق بيانه ، أعاد « عثمان » الصحف إلى حفصة (٢) وأرسل إلى كل أفق من الآفاق الإسلامية مصحفاً مما نسخه الصحابة (٣) ، وأمر « عثمان » بإحراق كل ما عدا المصاحف التي كتبها الصحابة .

وذلك سداً لباب الفتنة وحسماً للتزاع (٤) .

(د) فإن قيل :

نريد بيان عدد المصاحف التي نسخها الصحابة ، مع بيان الأمصار التي أرسلت إليها هذه المصاحف .

أقول :

لقد اختلف في ذلك على قولين :

● القول الأول :

١ - لقد تكفل بيان كل ذلك المصنفات الخاصة برسم المصاحف

مثل :

١ - متن مورد الظمان في رسم القرآن للخراز .

٢ - المقنع في رسم المصاحف لأبي عمرو الداني .

٢ - ظلت الصحت عند حفصة حتى توفاهما الله تعالى ثم أخذها

« مروان ابن الحكم » وأمر بإحراقها .

٣ - سياتى بيان الآفاق التي أرسلت إليها المصاحف .

٤ - لقد ثبت تاريخياً أنه لم يتم تنفيذ إحراق كل ما عدا

المصاحف التي نسخها الصحابة كما سياتى بيانه .

وهو أشهرهما ، أنها ستة ، تم توزيعها كما يلي :

- ١ - مصحف أرسل إلى مكة .
- ٢ - مصحف أرسل إلى البصرة .
- ٣ - مصحف أرسل إلى الكوفة .
- ٤ - مصحف أرسل إلى الشام .
- ٥ - مصحف (ظل بالمدينة المنورة) .
- ٦ - مصحف احتفظ به « عثمان » لنفسه (١) .

● القول الثاني :

إن عدد المصاحف ثمانية ، وهي الستة المتقدمة مع زيادة مصحفين :

- أحدهما أرسل إلى البحرين .
- والثاني أرسل إلى اليمن (٢) .
- وفي هذا يروي البخاري ت ٢٥٦ هـ .

وعن « أنس بن مالك » ت ٩٣ هـ رضي الله عنه أن « حذيفة بن اليمان » ت ٣٦ هـ رضي الله عنه قدم على « عثمان » وكان يغازي أهل الشام في فتح « أرمينية وأذربيجان » مع أهل العراق ، فأفزع « حذيفة » اختلافهم في القراءة ، فقال لـ « عثمان » :

« أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود ، والنصارى » .

١ - انظر : تاريخ المصحف ٥٩

٢ - انظر : القرآن ٨٦ .

فأرسل إلى حفصة : أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ،
ثم نردها إليك .

فأرسلت بها حفصة إلى « عثمان » فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ،
وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف .
وقال « عثمان » للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم « وزيد
ابن ثابت » في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم
ففعّلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد « عثمان » الصحف
إلى « حفصة » .

وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل
صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال « زيد » : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، فقد كنت
أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع
« خزيمه بن ثابت الأنصاري » ت ٥٣٧ :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » (١) .

فألحقناها في سورتها في المصحف . أ ه (٢)

(ه) فإن قيل :

نريد أن نعرف كيف تم إرسال المصاحف العثمانية إلى الأمصار .
أقول :

١ - سورة الأحزاب ٢٣

٢ - أنظر : الاتقان ١-١٧٠ ، وتاريخ المصحف ٥٦ ومباحث في
علوم القرآن ١٢٩ .

بما أن نقل القرآن الكريم يعتمد على التلقي والأخذ من أفواه الشيوخ :
ثقة عن ثقة ، وإماماً عن إمام ، حتى يوصل السند بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهذا هو المعبر عنه « بصحة السند » وهو أحد شروط القراءة الصحيحة (١) .
لهذا لما رأى « عثمان بن عفان » رضي الله عنه لإرسال المصاحف إلى
الأمصار أرسل مع كل مصحف أحد الأئمة القراء الخيار العدول .

مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف :

- ١ - فأمر « زيد بن ثابت » أن يقرء بالمصحف المدني .
- ٢ - وبعث « عبد الله بن السائب » ت ٥٧٠ مع المصحف المكي .
- ٣ - « والمغيرة بن شهاب » ت ٥٩١ مع المصحف الشامي .
- ٤ - « وأبأ عبد الرحمن السلمي » ت ٥٧٣ مع المصحف الكوفي .
- ٥ - « وعامر بن قيس » مع المصحف البصري (٢)

(و) فإن قيل :

نريد أن نعرف موقف الصحابة من صنع « عثمان » رضي الله عنه .

أقول :

ان « عثمان » رضي الله عنه قبل أن يشكل لجنة من خيرة الصحابة ، وحفاظ
القرآن ، ويعهد إليها بنسخ المصاحف ، وكتابتها على الكيفية التي سبق بيانها

-
- ١ - والشرطان الآخران هما :
الأول : أن تكون القراءة موافقة للقواعد النحوية .
والثاني : أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف
العثمانية .
 - ٢ - انظر : تاريخ المصحف ٦٠

لم ينفرد بهذا العمل وحده ، بل جمع مشاهير الصحابة وتشاور معهم في معالجة الفتنة التي كانت سبباً في هذا العمل الجليل .

وهذا أشبه ما يكون بالمؤتمرات العامة التي يدعى إليها أهل الخبرة ، ورجاحة العقل ، وذلك أخذاً بمبدأ الشورى ، وعملاً بقوله تعالى :
« وشاورهم في الأمر » (١) .

وكانت نتيجة هذا المؤتمر هي العمل على نسخ المصاحف .

من هذا يظهر بجلاء أن « عثمان » إنما كان منفذاً لقرار اتخذه جماهير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرتهم ، ما دام الأمر كذلك لا يتصور عاقل ولا مفكر أن يكون وراء ذلك سوى الرضا ، والقبول والتأييد ، والإجماع ومن يقول بغير ذلك يعتبر غير منصف ، ويعتبر قوله مردوداً عليه ولا قيمة له . لأنه لم يقف على حقائق الأمور .

وفي هذا يقول « علي بن أبي طالب » ٤٠هـ رضي الله عنه :

« لا تقولوا في عثمان ، إلا خيراً ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن مأل منا .

قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟

فقد بلغني أن بعضهم يقول :

ان قراءتي خبير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً .

قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون
فرقة ولا اختلاف ، قلنا : نعم ما رأيت « (١)

أما عامة المسلمين من أهل الأمصار والأقاليم ، فقد وقفوا من هذا العمل
موقف الرضا ، والقبول ، والتأييد أيضاً .

وذلك لأنهم علموا أن كتابة هذه المصاحف لم تكن عملاً فردياً ،
استقل به « عثمان » وحده .

وإنما هو عمل تم بإجماع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين قال فيهم النبي عليه الصلاة والسلام :

١ - « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا
عليها بالنواجذ » .

٢ - وقال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٢) .

لذلك فقد تلقوا هذه المصاحف بالرضا والقبول ، وجعلوها مصدرهم
الوحيد يقتدون بها ، ويقرؤون بما جاء فيها :

(ز) فإن قيل :

مما سبق تبين لنا أن القرآن الكريم مر بأحوال ثلاثة :

— الحالة الأولى : كتابته في العهد النبوي .

— الحالة الثانية : جمعه في عهد « أبي بكر الصديق » .

١ - أخرجه ابن أبي داود بسند صحيح : انظر : الاتقان ١-١٧٩
وتاريخ المصحف ٦١

٢ - انظر : تاريخ المصحف ٦١

— الحالة الثالثة : كتابته في عهد « عثمان بن عفان » .

ونحن نريد أن نعرف الفرق بين الأحوال الثلاثة .

أقول :

من يقرأ ما تقدم بشيء من التأمل يستطيع أن يفرق بين الأحوال الثلاثة

بما يلي :

● أولاً : كان القرآن الكريم في العهد النبوي مكتوباً في العصب ،
واللخاف ، والرقاع . الخ .

مرتب الآيات ، غير مرتب السور .

وكانت هذه الأشياء متفرقة لدى الصحابة عليهم رضوان الله تعالى بمعنى

أنه لم يثبت أن القرآن كله كان موجوداً في مكان واحد .

وقد سبق بيان الحكمة في ذلك .

● ثانياً : كان جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه
عبارة عن جمع الصحف التي كان مكتوباً عليها القرآن الكريم في مكان واحد
وحفظها عند « أبي بكر » خشية أن يضيع شيء من القرآن الكريم بسبب موت
حفظته ، وتم في هذه الحالة ترتيب سورته .

● ثالثاً : كانت كتابة القرآن في عهد « عثمان بن عفان » عبارة عن نسخ
المصحف التي تم جمعها في عهد « أبي بكر » في مصاحف متعددة ، وفقاً
للكيفية التي سبق تفصيلها .

وذلك كي يجتمع المسلمون على مصحف واحد .

(ح) فإن قيل :

هل كانت المصاحف العثمانية التي كتبت في عهد « عثمان » مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم . ؟

أقول :

هذه القضية من أهم القضايا القرآنية التي تحتاج إلى مزيد من الاهتمام ، لأنه مما يؤسف له أن بعض من لا يعرفون من العلم إلا السراب ، يجرون خلف آراء باطلة ، لا وزن لها ، لأنها يتقصها الدليل الصحيح ، والبرهان الساطع ، والحجة القوية والاستنتاج السليم المبني على صحة المقدمات وعدم فساد النتائج . وبالتتبع وجدت هناك قولين للعلماء :

أولهما :

وهو قول ضعيف باطل ، وينبغي ألا يعول عليه . لأن اعتقاد صحته هدم للقراءات القرآنية التي نزل بها القرآن ، ووصلتنا بطريق التواتر والنقل الصحيح .

وهذا الرأي يتلخص في أن المصاحف العثمانية ليس فيها سوى حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وهو حرف « قريش » والذي ذهب إلى ذلك قلة أمثال :

١ - « ابن التين » (١)

١ - لقد بحثت في العديد من كتب التراجم كى أقف على ترجمة لابن التين ، ولكن دون جدوى فلم أحظ برغبتي ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن « ابن التين » كان من الشخصيات غير المشهورة بين العلماء ، ويكفى ذلك دليلا على عدم رجاحة قوله وعدم التعويل عليه .

٢ - « الحارث المحاسبي » ت ٢٤٣ هـ

وحجتهم في ذلك :

قول « عثمان بن عفان » للرهط القرشيين : « إذا اختلفتم - أنتم وزيد ابن ثابت - فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم » .

ثم قالوا :

« وأما باقي الأحرف التي نزل عليها القرآن فإنما أنزلت في ابتداء الأمر في صدر الإسلام للتيسير على الأمة ، ورفع الحرج والمشقة عنها ، في قراءة كتاب ربها لأن إلزام جميع القبائل العربية بالترام لغة واحدة في قراءة القرآن لم تعودها ألسنتهم ، ولم يألفوا التكلم بها في مخاطبتهم يوقمهم في الإصر ، والعت والمشقة ، والحرج ، فتخفيفاً على الأمة ، ورفعاً للحرج والمشقة عنها ، وتيسيراً عليها في قراءة القرآن الكريم ، أنزل القرآن في بادئ الأمر على سبعة أحرف وأبيح لكل قبيلة أن تقرأه بلغتها ، إلى أن تروض لسانهم وتمرن على لهجة قريش لهجة القرآن .

فلما ذلت الألسن ، ومرنت على لغة قريش ، وأصبح النطق بكلمات القرآن سهلاً ميسوراً على لسان كل قبيلة لم يكن ثم حاجة إلى هذه الأحرف واللغات وأمرت جميع القبائل أن تقرأ القرآن بلغة قريش خاصة .

يضاف إلى ذلك أن قراءة القرآن بهذه اللغات - غير لغة قريش - أصبحت مثار نزاع وخلاف بين المسلمين .

فلعدم الحاجة إلى هذه اللغات ، ولأنها كانت سبباً في إنقسام المسلمين ألقاها الخليفة عثمان حين كتابة المصاحف ، وأمر كتاب المصاحف أن يقتصروا في كتابتها على لغة واحدة ، وحرف واحد ، هي لغة قريش ، وحرف قريش .

ولنستمع إلى « ابن التين » وهو يقول في هذا المعنى :

جمع « عثمان » للقرآن كان ناسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة .
حتى جمع المسلمين على مصحف واحد ، وحرف واحد ، يقرؤون به دون
ما عداه من الأحرف الستة الأخرى .

والفرق بين جمع أبي بكر ، وجمع عثمان :

أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته
لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد .

فجمعه في صحائف ، مرتباً آيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءات حتى
قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات . فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعضه .

فخشي من تفاقم الأمر في ذلك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد
مرتباً لسوره .

واقصر من سائر اللغات على لغة (قريش) محتجاً بأنه نزل بلغتهم ، وإن
كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرص والمشقة في ابتداء الأمر فرأى
أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة « أ ه (١) .

إنما حمل « عثمان » الناس على القراءة بوجه واحد ، على اختيار وقع
بينه وبين من شهدته من المهاجرين ، والأنصار ، لما خشي الفتنة عند اختلاف
أهل العراق والشام في حروف القراءات .

فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات المطلقات على
الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن . أ ه (٢) .

١ - انظر : مباحث في علوم القرآن للمشيخ مناع القطان ١٣٣

٢ - انظر : المصدر السابق .

(الرد على أصحاب هذا الرأي) :

أقول :

ان هذا الرأي يعتبر باطلا وغير مقبول جملة وتفصيلا .

والدليل على ذلك ما يلي :

● أولا : ان استدلالهم على مذهبهم الباطل بقول « عثمان » لكتاب المصاحف :

« إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش وإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا » .

لا ينبغي أن يكون حجة لهؤلاء الذين لا يحاولون فهم الأمور على وجهها الصحيح .

فعثمان رضي الله عنه لا يريد من كلمة (الاختلاف)

في قوله : (إذا اختلفتم) إلى آخره .

إلا الاختلاف من حيث الرسم والكتابة لا من حيث جوهر الألفاظ وبنية الكلمات يشهد لصحة ذلك قوله : « فاكتبوه » الخ .

إذاً يصبح معنى عبارة « عثمان رضي الله عنه » :

إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة ، فاكتبوها بالرسم الذي يوافق لغة قريش » ولهجتها ، ويتعين حمل كلام « عثمان » على هذا كي يتسنى الجمع بين الأدلة والتوفيق بين النصوص .

● ثانياً : ان معنى قول « عثمان » : « وإنما نزل بلسانهم » يحتمل أمرين :

(أ) أن يكون معناه : وإنما نزل بلسانهم في بادئ الأمر ، ثم أراد الله

تعالى التخفيف واليسير على الأمة ، فأنزله بباقي الأحرف السبعة .
(ب) أو يكون معناه : « أن معظمه نزل بلسان « قريش » لأن هذه اللغة كانت اللغة النموذجية بالنسبة لسائر اللهجات العربية ويكون ذلك من باب اطلاق الكل وإرادة البعض ، وهذا تعبير لغوي فصيح جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى :

« جعلوا أصابعهم في آذانهم » (١) .

فإن المراد : جعلوا أطراف أصابعهم .

وبناء على ذلك لا يعتبر قول (عثمان) : « فإنما نزل بلسانهم » حجة لهم على دعواهم الباطلة .

القول الثاني :

ذهب جماهير العلماء إلى أن المصاحف العثمانية تعتبر متضمنة للقراءات القرآنية التي تثبت في العرضة الأخيرة .

وليس معنى ذلك أن كل مصحف بمفرده كان مشتملا على جميع الأحرف السبعة .

بل المقصود أنها كانت في مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم .

فالأحرف السبعة منتشرة في المصاحف التي كتبت في عهد « عثمان » رضي الله عنه . (٢)

وأرى أن هذا القول هو الراجح ، وهو الذي يطمئن إليه القلب ، ويهدي إليه النظر ، وترشد إليه الأدلة الصحيحة الآتية :

-
- ١ - سورة نوح ٧
٢ - أنظر : تاريخ المصحف ٦٣

الدليل الأول :

أن المصاحف العثمانية تم نسخها من الصحف التي جمعها « زيد بن ثابت » في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه .

وقد أجمع الصحابة على أن هذه الصحف قد سجل فيها ما تواتر ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحرف السبعة ، واستقر في العرصة الأخيرة . ولم تنسخ تلاوته .

فالصحف التي تم جمعها في عهد « أبي بكر » تعتبر أصلاً ومصدراً أساسياً للمصاحف التي كتبت في عهد « عثمان » رضي الله عنه .

الدليل الثاني :

لم يرد في خبر صحيح ولا ضعيف أن « عثمان » أمر كتاب المصاحف أن يقتصروا في كتابتها على حرف واحد ، ويلغوا الأحرف الستة الباقية .

الدليل الثالث :

من يتتبع المصاحف العثمانية يجد بينها اختلافاً في مواضع كثيرة (1) . فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وحرف واحد ، وهي لغة قريش ، لما كان هناك هذا الاختلاف .

فوجود الاختلاف في الرسم بين المصاحف العثمانية من الأدلة القاطعة على أنها لم تكتب بحرف واحد - كما ذهب إلى ذلك أصحاب المذهب الأول المرود - بل كتبت متضمنة للأحرف السبعة التي ثبتت في العرصة الأخيرة .
فائدة :

١ - لقد تكلفت المصنفات الخاصة بالرسم العثماني ببيان هذه الكلمات بالتفصيل فليرجع إليها من يشاء .

تبع الإمام ابن عاشر الكلمات القرآنية التي اختلفت المصاحف العثمانية في رسمها .

وتتميماً للفائدة فقد رأيت أن أذكر الأبيات التي نظمها « عبد الواحد ابن عاشر » .

ليبين من خلالها الكلمات القرآنية التي اختلفت المصاحف العثمانية في رسمها .

ومن المعلوم أن المصاحف العثمانية ست وهي :

الأول : الإمام ، وهو المصحف الذي احتبسه « عثمان » لنفسه .

الثاني : المدني ، وهو المصحف الذي كان بأيدي أهل المدينة .

الثالث : المكي ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل مكة .

الرابع : الشامي ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل الشام .

الخامس : الكوفي ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل الكوفة .

السادس : البصري ، وهو المصحف الذي بعث به عثمان إلى أهل البصرة .

قال ابن عاشر :

بمحمد ربه ابتدا ابن عاشر مصلياً على النبي الحاشر (١)

هاك زوائد المسورد تفي بالسبع معه من خلاف المصحف

١ - الحاشر : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم . فقد جاء في الموطأ عن « محمد بن مطعم » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » اه أنظر : دليل الحيران مع تنبيه الخلان ٤٤٨ .

والمدني والملك والإمام
 فارسم لكل قاريء منها بما
 من سورة الحمد للأعراف اعرفا
 لغير حرمي وقالوا اتخذوا
 للمدنيين وشام بالألف
 والملك والعراق واوا سارعوا
 كذا الكتاب بخلاف عنهم
 واو يقول للعراقي فزد
 للدار للشام بلام وهنا
 وشركاؤهم ليردوهم بيا
 في ساحر العقود مع هود اختلف
 من سورة الأعراف حتى مریم
 واو ما كنا له أينما
 بكل ساحر معاهل بالألف
 بالألف الشام إذا نجاكم ومن
 للمك والذين بعد المدني
 كلمة الثاني بيونس هما
 وفي يسيركم ينشركم
 له وللمكي ثم منهما

والكوف والبصري معاً والشام
 وافقه ان كان مما لزما
 فباء ابراهيم في البكر احذفا (١)
 بحذف شام واوه أوصى خذا
 يقاتلون تلو حق مختلف
 بالزبر الشامي بباء شائع
 والشام ينصب قليلا منهم
 والمدنيان وشام يرتدد
 قد حذف الكوفي تا أنجيتنا
 للشام في محل همز أبديا
 وأول بيونس كذا ألف
 تذكرون الشام ياء قدما
 بعكس قال بعد مفسدنا
 وهل يلي الحاء أو قبيلها اختلف
 مع تحتها آخر توبة بعن
 والشام لا واو بها فاستبن
 بالتا وفي العراق بالها ارتسما
 للشام قل سبحان قال قد رسم
 منقلبا منها العراقي رسما

معا خراجا بخلاف قد أتى
 مكنتي للمك نونا ثانيا
 من مريم لصاد قل ذا الأول
 في قال كم مع قال ان عكس جرى
 في المؤمنين آخرى لله زد
 والملك أولى نزل الفرقان
 وحاذرن فراهين الألف
 في وتوكل عوض الواو بغا
 للمك من قال موسى وألف
 ما عملته الها لكوف نكبا
 من صاد للخم فخلفها أتى
 كلمة الطول وتأمروني
 أشد منهم هاءه كافا قلب
 وسط مصيبة بما حذف فاء
 في تشتهي زاد وحسنا رسما
 في خاشعا باقربت قد اختلف
 واثر شين المشآت الألف
 وباء ثاني ذي الجلال الشام زد
 وفخراج للجمع أثبتا
 والكل آثوني معا بغير با
 في الأنبيا للكوفي قال يجعل
 لا واو للمكي في ألم ير
 للبصر والامام همزا اعتمد
 ويأتي النمل نونا ثاني
 يثبت في بعض وبعض يحدف
 للمدني والشام والواو احذفا
 لؤلؤ فاطر بخلف قد ألف
 وألف الظنونا للكل اکتبا
 في عبده تالي بكاف وبنا
 أعبد للشامي مزيد نون
 والكوف أو أن يظهر الهمز جلب
 للمدني والشام ثم هاء
 في الكوف احسانا فأحسن بهما
 وواو ذوالعصف بشامي ألف
 وفي العراق الباء منها خلف
 واوا وضم النصب في كلا وعد

واحذف ضمير الفصل من هو الغنى
من مصحف الشامى كذاك المدنى
وخلف قال انما ادعوا ألف
ثاني قوارير ببصر مختلف
ولا يخاف عوض الواو بفا
للمدنى والشام وآلان وفي
فالحمد لله على حسن الختام
وللنبي أمي صلاتي والسلام (١)

(تم والحمد لله)

صدر من هذه السلسلة

- ١ - تاملات في سورة الفاتحة/ للدكتور حسن باجودة •
- ٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه / للأستاذ أحمد جمال •
- ٣ - الرسول (ص) في كتابات المستشرقين / • للأستاذ نذير حمدان •
- ٤ - الإسلام الفاتح / للدكتور حسين مؤنس •
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي / للدكتور حسان محمد حسان •
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم / للدكتور عبد الصبور مرزوق •
- ٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية / للدكتور على محمد جريشة •
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية / للدكتور أحمد السيد دراج •
- ٩ - التوعية الشاملة في الحج/ للأستاذ عبدالله بوقاس •
- ١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره / للدكتور عباس حسني محمد
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم / للدكتور عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل / للأستاذ محمد طاهر حكيم •
- ١٣ - مولود على الفطرة / للأستاذ حسين أحمد حسون •
- ١٤ - دور المسجد في الإسلام/ للأستاذ على محمد مختار

(الفهرست)

الصفحة	الموضوع
ص ٣	● المقدمة
ص ٥	● تمهيد
ص ٨	● الفصل الأول : (تنزيل القرآن الكريم)
ص ٨	(أ) تنزيل القرآن
ص ١٢	(ب) الحكمة من نزول القرآن منجما
ص ٢٦	(ج) بيان أول ما نزل من القرآن
ص ٣١	(د) بيان آخر ما نزل من القرآن
ص ٤٣	(هـ) فوائد معرفة ترتيب نزول القرآن
ص ٤٨	● الفصل الثاني : (تقسيمات القرآن الكريم)
	أولا تقسيم القرآن الى :
ص ٤٩	(أ) مكّي ، ومدني
ص ٥٤	(ب) تحديد معنى المكّي ، والمدني
ص ٥٦	(ج) طرق معرفة كل من المكّي والمدني
ص ٥٦	(د) علامات كل من المكّي والمدني
ص ٦٠	(هـ) مميزات كل من المكّي والمدني
	ثانيا : تقسيم القرآن الى سور وما يتعلق بذلك مثل :
ص ٦٤	(أ) العدد الاجمالي لسور القرآن
ص ٦٤	(ب) معنى السسورة
ص ٦٤	(ج) حكم ترتيب سور القرآن
ص ٧٢	(د) الحكمة من جعل القرآن سورا
ص ٧٤	(هـ) هل أسماء السور توقيفية ؟

الصفحة	الموضوع
	ثالثا : تقسيم سور القرآن الى ما يلي :
ص ١٠٨	(أ) الطول
ص ١٠٩	(ب) المئين
ص ١٠٩	(ج) المثاني
ص ١١٠	(د) المفصل
	رابعا : تقسيم القرآن الى ما يأتي :
ص ١١١	(أ) العدد الاجمالي لآيات القرآن
ص ١١٤	(ب) معنى الآية
ص ١١٦	(ج) فوائد معرفة الآية
ص ١١٧	(د) الطرق التي تعرف بموجبها الآية
ص ١١٨	(هـ) حكم ترتيب آيات القرآن
ص ١٢٦	(و) عددا كلمات القرآن
ص ١٢٧	● الفصل الثالث : (كتابة القرآن الكريم)
ص ١٢٨	أولا : كتابة القرآن بين يدي النبي (ص)
ص ١٢٩	(أ) كتابة الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم
ص ١٣٠	(ب) وسائل الكتابة في العهد النبوي
ص ١٣١	(ج) هل كان القرآن مجتمعاً في مصحف واحد ؟
ص ١٣١	(د) لماذا لم يكتب القرآن في مصحف واحد ؟
	ثانيا : جمع القرآن في عهد « أبي بكر الصديق »
ص ١٣٣	رضى الله عنه
ص ١٣٣	(أ) الأسباب التي جعلت «أبا بكر» يأمر بجمع القرآن
ص ١٣٦	(ب) لماذا اختار «أبو بكر» ٥٠ «زيدا» لجمع القرآن
	(ج) طريقة «زيد» في جمع القرآن وبيان المصادر
ص ١٣٧	التي اعتمد عليها في ذلك
ص ١٤٠	(د) هل يعتبر جمع القرآن مستحدثاً ؟

الصفحة	الموضوع
ص ١٤٠	(هـ) ما موقف الصحابة من صنيع أبي بكر ؟
ص ١٤١	(و) أين وضعت الصحف التي جمعها «زيد» ؟
	ثالثا : كتابة القرآن في عهد «عثمان بن عفان»
ص ١٤٢	رضى الله عنه
ص ١٤٢	(أ) الأسباب التي جعلت «عثمان» يأمر بكتابة المصاحف.
ص ١٤٤	(ب) الصحابة الذين اختارهم «عثمان» لكتابة المصاحف
ص ١٤٥	(ج) قانون «عثمان» في كتابة المصاحف
ص ١٤٨	(د) عدد المصاحف التي نسخها الصحابة والأمصار التي أرسلت إليها هذه المصاحف
ص ١٥٠	(هـ) كيف تم إرسال المصاحف العثمانية الى الأمصار ؟
ص ١٥١	(و) موقف الصحابة من صنيع «عثمان»
ص ١٥٣	(ز) الفرق بين الأحوال الثلاثة التي مرت بها كتابة القرآن
ص ١٥٥	(ح) هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة